روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

عمالقة الجبال

117



رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - الخطر ..

انطلق رنين الهاتف الخاص بغتة ، فى حجرة نوم (برونو باتياس) ، رئيس شرطة (سوكريه) ، عاصمة (بوليفيا) ، فى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، فهبّت زوجته من فراشها ، هاتفة فى ارتياع :

- (برونو) .. إنه ذلك الهاتف الأحمر .

وثب (باتياس) من الفراش ، وجسده كله يرتجف فى عنف ، من فرط التوتر والانفعال ، فقد كان يدرك جيِّدًا أن هذا الهاتف الخاص لا يتم استخدامه ، إلا فى حالات الطوارئ القصوى ، مما جعله يختطف سماعته فى سرعة ، هاتفًا :

- رئيس الشرطة .. من المتحدِّث ؟!

أتاه صوت (فيليب نواريه) ، محافظ العاصمة ، وهو يقول فى توتر واضح ، يشفّ عن أهمية وخطورة الموقف :

- إنه أنا يا (باتياس) .. استمع إلىّ جيِّدًا ، واعمل على تنفيذ ما سآمرك به ، بأقصى سرعة ممكنة .

انقبضت أصابع رئيس الشرطة فى قوة ، على سمَّاعة الهاتف ، وهو يقول :

- كلى آذان مصغية يا سيِّدى .

قال المحافظ فى سرعة :

- هناك إرهابى خطير للغاية ، فى طريقه إلينا .

التقى حاجبا رئيس الشرطة فى شدة ، وشفتاه تغمغمان :

- إرهابى ؟!

أجابه المحافظ ، فى شىء من العصبية :

- نعم يا (باتياس) .. إرهابى بالغ الخطورة ، سبَّب للبرازيليين مشكلات عنيفة فى (ريو دى جانيرو) ، ثم فرَّ من هناك ، دون أن يظفروا به ، ولدى معلومات مؤكَّدة للغاية ، أنه فى طريقه إلى هنا ، مع فريق من رجاله .

سأله رئيس الشرطة فى تحفُّز :

- متى وأين يا سيِّدى المحافظ ؟!

صمت المحافظ بضع لحظات ، وكأنما باغته السؤال ، ثم لم يلبث أن قال فى عصبية زائدة :

- لم تصلنى تلك المعلومات بعد .

ثم استدرك فى سرعة :

- ولكننى فى انتظارها .

أشارت زوجة رئيس الشرطة لزوجها ، محاولة الاستفسار عما يحدث ، إلا أنه استوقفها بإشارة صارمة ، وهو يسأل المحافظ :

- وما الذى ينبغى علىَّ فعله يا سيِّدى ؟!

أجابه المحافظ فى حدة :

- ما تفعله فى مثل هذه الظروف يا رئيس الشرطة .

صمت رئيس الشرطة لحظة ، ثم سأل فى حزم :

- ألدينا صورة لهذا الإرهابى يا سيِّدى ؟!

أجابه المحافظ فى سرعة :

- بالطبع .. سأرسل صورته فورًا ، مع صور بعض معاونيه ، عبر جهاز الكمبيوتر إلى مكتبك ، وستجدها عندما تصل إلى هناك .

ثم استطرد فى صرامة :

- إنك ستذهب إلى هناك على الفور .. أليس كذلك ؟!

شدَّ رئيس الشرطة قامته ، وأجاب فى حزم :

- بالطبع يا سيِّدى المحافظ .. بالطبع .

أنهى المحادثة ، وبدأ فى ارتداء ثيابه فى سرعة ، فسألته زوجته فى قلق :

ـ ماذا هناك ؟!

انفرجت شفتاه لحظة ، وكأنه يهمّ بإجابته ، إلا أنه تراجع فى سرعة ، والتقى حاجباه على نحو ضاعف من قلقها ، قبل أن يجيب فى عصبية :

ـ لست أدرى .. حقًا لست أدرى ؟!

قالت فى دهشة قلقة :

ـ لست تدرى ؟! وكيف هذا ؟! ألم يتحدّث إليك المحافظ بنفسه ؟!

تضاعف توتره ، وهو يتوقّف عن ارتداء ثيابه ، ويشرد ببصره ، مجيبًا :

ـ هل تعلمين ؟! إننى أشعر بأن المحافظ نفسه ليست لديه فكرة كاملة عن الأمر !

هتفت :

ـ ماذا تقول يا رجل ؟! إنه المحافظ .

أومأ برأسه ليوافقها على قولها ، وواصل ارتداء ثيابه ، قائلاً :

ـ نعم .. إنه المحافظ ، ولكنها المرة الأولى ، التى يتصل فيها بنفسه ، بشأن أمر كهذا ، ثم إنه يتحدّث بلهجة من تلقّى أمرًا صارمًا ، ويحاول تنفيذه بأقصى سرعة قبل حتى أن يستوعبه جيدًا .

وزفر فى حرارة ، وهو يعقد رباط عنقه ، مستطردًا :

ـ وهذا ما يقلقنى فى الواقع .

نطقها رئيس الشرطة ، دون أن يدرك أن هذه النقطة ستكون آخر ما يمكن أن يقلقه ، عندما تبدأ المواجهة فعليًا ..

بل ولم يكن يدرك أنه يواجه أخطر عملية فى تاريخه كله ..

عملية بدأت ، عندما راحت السنيورا ، زعيمة منظمة (الأفعى) للجاسوسية الحرة ، تعدّ أضخم مشروع إجرامى عرفه التاريخ ..

إنتاج قنابل ذرية خاصة ، لتهديد أمن وسلامة العالم ..

ثم السيطرة عليه ..

تمامًا ..

وفى سبيل هذا المشروع النووى المخيف ، اختطف رجالها عددًا من أبرز العلماء المعروفين ، فى هذا المضمار ، بعد أن بنت مفاعلاً نوويًا خاصًا ، فى قلب جبال (بوليفيا) ، ونجحت فى إحضار كل المواد

المطلوبة ، مثل (البلوتونيوم ٢٣٩) ، والماء الثقيل ، وغيرها ، من كل أنحاء العالم ، بوسائل عنيفة غير مشروعة ، بتمويل من أربعة من عمالقة الاقتصاد العالميين ..

ولكن (أدهم صبرى) ظهر فى الصورة ..

بل اقتحمها اقتحامًا ، لينقذ البروفيسير الألمانى (مارك مانهايم) ، خبير الهندسة النووية ، من قبضة رجالها ، ويمنعها من استكمال المشروع الرهيب ..

وجنّ جنون السنيورا ..

جنّ جنونها ، لأن (أدهم) قد برز فى الموقف ..

فقد كان هذا ، بالنسبة لها ، مرادفًا للفشل ..

فشلها ..

لذا ، فقد أطلقت كل رجالها خلفه ..

وبمنتهى العنف ..

وكانت الحرب شرسة ضروسًا ..

وخاصة عندما حاول (أدهم) الفرار بالبروفيسير (مانهايم) ، عبْر أخطر ممر جبلى فى العالم .

(كوهيدور بيليجرو) ..

ومع المحاولة ، كان على (أدهم) و (جيهان) أن يواجها أخطر وأعنف خصم فى الكون ..

الطبيعة ..

عاصفة عاتية هبّت على (ريو دى جانيرو) ، فى تلك الليلة بالذات ، وبلغت سرعتها ما يزيد على ألف كيلومتر فى الساعة ، داخل الممر ..

وكانت مرحلة رهيبة من الصراع ..

مرحلة انتهت بنجاة الثلاثة بمعجزة ، من الرياح القاتلة ..

ولكن هذا لم يكن يعنى أن القضية قد انتهت ..

ففور انتهاء العاصفة ، انقضّ عليهم رجال السنيورا ، بقيادة رجل المخابرات السوفيتى السابق (يورى أندروفيتشى) ..

وبدأت جولة جديدة من الحرب الطاحنة ، فى قلب الممر ..

ممر الجحيم ..

جولة انتهت بمقتل البروفيسير ، وبإصابة (جيهان) إصابة قاتلة ، وسقوطها مع (أدهم) فى قبضة مقاتلى إحدى القبائل البدائية ، فى غابات وأدغال (البرازيل) ، فى يوم يطلق عليه اسم (عيد كل الموتى) ..

يوم تنص فيه العقيدة الوثنية لأولئك البدائيين ، على حتمية قتل كل غريب يطأ أرضهم فيه ، بلا هوادة ..

وبلا رحمة ..

ولكن شاءت الظروف أن يصل (أدهم) حاملاً (جيهان) الفاقدة الوعى ، التى تكاد تلفظ أنفاسها الأخيرة ، إلى أولئك البدائيين ، عبْر واحدة من مقابر مقاتليهم القدامى .

وكان هذا كفيلاً بأن تنقلب الأمور كلها رأسًا على عقب ..

وأن يتحوّل (أدهم) ، والحال هكذا ، من فريسة إلى منقذ أسطورى ، طال انتظار هؤلاء الوثنيين لظهوره ..

وببعض العقاقير البدائية ، وعلى نحو مدهش للغاية ، أعاد أولئك القوم لـ (أدهم) كل حيويته ونشاطه ، وعالجوا إصاباته السابقة ، وإصابات (جيهان) ، وحتى إصابات (قدرى) و (منى) ، اللذين طارا من (القاهرة) إلى (ريو دى جانيرو) ، لمعاونة (أدهم) فى صراعه العنيف ..

وكان على رجال السنيورا أن يواجهوا ذلك التحوّل المدهش ، فى قلب المهرجان السنوى الشهير للمدينة ، والذى تحوّل مع المواجهة إلى مهرجان آخر .

مهرجان الموت ..

والعنف ..

وفى أثناء كل هذا ، انطلقت السنيورا تواصل مشروعها النووى ، واستعانت ببديل للبروفيسير الألمانى ، وراحت تستعد لإنتاج قنبلتها الذرية الأولى ، التى تقرّر تفجيرها فى صحراء (أريزونا) ، لإعلان بدء المرحلة الأولى من خطة السيطرة العالمية ..

وقاتل (أدهم) بكل قوته ومهاراته ، فى محاولة لتحديد الموقع الحقيقى للسنيورا ..

ولم يكن هذا سهلاً أبدًا ..

لقد سالت الدماء أنهارًا ، حتى حصل على معلومة واحدة ..

أنها هناك ، فى (بوليفيا) ..

فى مكان ما هناك ..

وبعد مطاردة عنيفة ، وقتال رهيب ، مع رجال السنيورا ، ومفتش الشرطة المرتشى (أورتيجا) ،

نجح (أدهم) فى بلوغ الطائرة ، التى ينتظره فيها رفاقه ، لتنطلق بهم إلى (بوليفيا) ..

وكان الاشتباك الأخير مع رجال دورية المطارات الخاصة ..

وعلى الرغم من أن ذلك الاشتباك قد انتهى بنجاحهم فى التقاطه ، والإقلاع بالطائرة الخاصة الصغيرة ، إلا أن هذا لم يكن يعنى انتصارهم فى المعركة .

لقد أدركت السنيورا أنهم فى طريقهم إليها ، واستعدّت لمواجهتهم فى (بوليفيا) ..

بكل قوتها ..

وعنفها ..

ونفوذها ..

وشراستها ..

وفى الوقت ذاته ، أبلغ رجال الدورية القوات الجوية البرازيلية ، بوجود طائرة خاصة تحاول الفرار إلى (بوليفيا) ..

وعلى الفور ، انطلقت مقاتلتان حربيتان برازيليتان خلف الطائرة ، فى قلب الليل ..

وكانت المواجهة ..

مواجهة بين الطائرة الصغيرة ، التى تحمل (أدهم) ورفاقه ، ومقاتلتين حربيتين ، تحملان أمرًا واحدًا محدودًا ..

أن تطلقا نيرانهما وصواريخهما نحو الطائرة الصغيرة فور رؤيتها ..

وبلا إنذار(*) ..

★ ★ ★

لم يكد رنين الهاتف الخاص الجديد للسنيورا ينطلق ، حتى اختطفته فى لهفة ، قائلة :

ـ من المتحدّث ؟!

أتاها صوت (دونيو) ، رجلها فى (ريو دى جانيرو) ، وهو يقول فى لهجة واثقة :

ـ إنه أنا يا سنيورا .. تم تنفيذ كل أوامرك .

تألّقت عيناها ، وهى تقول :

ـ حقًا ؟! هل تخلّصت منهم جميعًا يا (دونيو) ؟!

(★) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء السابقة (رياح الخطر) ، و(ممر الجحيم) ، و(بلا رحمة) ، و(مهرجان الموت) .. المغامرات أرقام (١١٣) ، (١١٤) ، (١١٥) ، (١١٦) .

أجابها فى سرعة :

- جميعهم يا سنيورا .. حتى ذلك الروسى .

تسللت إلى صوتها نبرة متوترة ، مع سؤالها :

- وماذا عنه ؟!

قال (دونيو) ، وقد اهتزت الثقة فى صوته :

- أتقصدين ذلك المصرى يا سنيورا ؟!

أجابته فى عصبية :

- ومن أقصد سواه أيها الغبى ؟!

ازدرد لعابه فى صعوبة ، وانهارت ثقته كلها ، وهو يقول :

- لقد عاد إلى الفندق ، بعد مصرع الجميع ، واشتبك مع المفتش (أورتيجا) ورجاله ، ولكنهم عجزوا عن الإيقاع به ، وانطلقوا يطاردونه عَبْر شوارع المدينة ، على الرغم من المهرجان وزحامه .

سألته فى انفعال .

- وما الذى انتهى إليه الأمر ؟!

صمت لحظة ، ثم أجاب فى شىء من الحذر :

- أعتقد أنه من الأفضل أن يخبرك المفتش (أورتيجا) بنفسه يا سنيورا .

تلاقى حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

- المفتش (أورتيجا) ؟! هل تتحدث إلىّ وهو إلى جوارك أيها الغبى ؟!

صاح فى هلع :

- مطلقًا يا سنيورا .. مطلقًا .. إنه يجلس فى الحجرة المجاورة ، ويصرّ على التحدث إليك بنفسه .. يبدو أن لديه أمرًا خطيرًا بالفعل .

أمر خطير ؟!..

ترددت العبارة فى ذهنها ، حاملة صورة واحدة .. صورة (أدهم صبرى) ..

لا ريب فى أن ذلك الأمر الخطير ، الذى يحمله (أورتيجا) ، يتعلق حتمًا بـ (أدهم) ..

لذا ، فقد أجابت فى عصبية :

- فليكن يا (دونيو) .. صلنى به ، عبر هاتفك المحمول ، وأنه المحادثة بعد دقائق ثلاث ، مهما كان الأمر .. هل تفهم ؟!

أجابها بسرعة :

- نعم .. أفهم يا سنيورا .. أفهم بكل تأكيد .

لم تمض ثوان معدودة ، بعد قوله هذا ، حتى أتاها

صوت (أورتيجا) ، وهو يهتف فى انفعال غامر :
إنه أنا يا سنيورا .. (أورتيجا) .. خادمك المخلص الأمين .. الـ ...
قاطعته فى حدة :
ـ هات ما لديك على الفور يا رجل .
التقط (أورتيجا) أنفاسه فى توتر ، وقال :
ـ الواقع يا سنيورا أن ذلك المصرى استطاع اللحاق برفاقه ، فى أحد المطارات الخاصة ، حيث أقلعوا جميعًا بطائرة مروحية من طراز (يو ـ آر ـ ٣٣) ، فى طريقهم إلى (سوكريه) فى (بوليفيا) .
هتفت فى انفعال غامر :
ـ إلى (سوكريه) ؟!
قال فى توتر شديد :
ـ نعم يا سنيورا .. لقد ألقوا الطيار خارج الطائرة ، واعترف لنا بكل شىء .. ولكن اطمئنى يا سنيورا .. لن يمكنهم بلوغ غايتهم قط .
سألته فى عصبية :
ـ ومن أين أتيت بكل هذه الثقة يا رجل ؟!
أجاب فى سرعة :
ـ لقد أبلغنا القوات الجوية بأمرهم يا سنيورا ،

وستنقضّ عليهم مقاتلتان من طراز (إف ـ ١٥) ، مع أوامر مشدَّدة بإطلاق النار مباشرة ، دون حتى توجيه الإنذار التقليدى .
ازداد التقاء حاجبيها ، دون أن تنبس ببنت شفة ، وهى تحاول استيعاب الموقف وتخيُّله ..
طائرة تضم (أدهم) ورفاقه ، فى سماء (ريو دى جانيرو) ، ومقاتلتان من طراز (إف ـ ١٥) تنقضّان عليها ، و ...
« إننى خادمك المخلص يا سنيورا .. »
قاطعها (أورتيجا) بعبارته المتزلِّفة ، فقالت فى عصبية :
ـ أريد تأكيدًا بمصرعهم يا (أورتيجا) .
هتف :
ـ أنا رهن إشارتك يا سنيورا .
ثم انخفض صوته بغتة ، وهو يتابع :
ـ ولكن ..
قالت فى حدة :
ـ ولكن ماذا يا (أورتيجا) ؟!
ارتبك فى شدة ، وهو يجيب :
ـ هناك شريط ما .. شريط فيديو ، سجَّل عليه ذلك

الرجل ما يديننى ، ولو تم تسليم ذلك الشريط لرؤسائى ، سيكون فى هذا القضاء المبرم علىَّ ، و ..

قاطعته فى صرامة عصبية :

ـ لا تقلق فى هذا الشأن .

قال متضرِّعًا :

ـ أرجوك يا سنيورا .. إن هذا الـ ...

صاحت فى حدة :

ـ قلت لك لا تقلق .

ثم أضافت فى لهجة قاسية :

ـ أخبرنى عندما يتمّ حسم الأمر .

ثم أنهت المحادثة فى عنف ، وهى تتمتم :

ـ أغبياء .

وأشعلت سيجارتها فى عصبية زائدة ، وهى تدور فى حجرتها فى انفعال ..

(أدهم صبرى) ..

دائمًا هو (أدهم صبرى) ..

كلما خطَّطت ودبَّرت ، ظهر هو فى اللحظة الأخيرة ، ليفسد كل شىء ..

ولكنها لن تسمح بتكرار هذا ، هذه المرة ..

مهما كان الثمن ..

لن تسمح له بإفساد مشروعها النووى ..

أقوى مشروع إجرامى فى القرن العشرين ..

بل وفى التاريخ كله ..

وعلى الرغم منها ، استعاد ذهنها ذلك المشهد ، الذى كوَّنه منذ قليل ..

طائرة خاصة مروحية ، من طراز (يو ـ آر ـ ٣٣) ، تحلِّق فى سماء (ريو دى جانيرو) ، فى قلب الليل ، ومقاتلتان من طراز (إف ـ ١٥) تنقضان عليها ، و ...

عجبًا !!

الصورة تؤكِّد ، بم لا يدع مجالاً للشك ، أن الطائرة المروحية ستلقى نهايتها حتمًا ..

فلماذا تشعر فى أعماقها أن الأمر سيختلف ؟!

لماذا !؟

ما الذى يمكن أن يفعله (أدهم) ورفاقه بطائرة صغيرة ، فى مواجهة مقاتلتين حربيتين ؟!

ما الذى يمكن أن يفعله ؟!

وراح السؤال يلتهم عقلها بلا رحمة أو هوادة ..

واهتزَّت تلك الصورة ، التى كوَّنها عقلها ..
وبعنف ..

★ ★ ★

« انتهينا لا محالة .. »

هتف (قدرى) بالعبارة فى ارتياع ، وجسده كله يرتجف فى عنف ، وعيناه تحدقان فى المقاتلتين البرازيليتين ، اللتين تبدوان من بعيد ، فى ضوء القمر ، وانعقد حاجبا (منى) فى توتر ، ونهض (بترو) واقفًا فى عصبية ، فى حين مطَّت (جيهان) شفتيها ، مغمغمة :

ـ اللعنة !

(أدهم) وحده تحرَّك فى سرعة ، والتقط بوق جهاز اللاسلكى ، وضغط أزراره فى سرعة ، قائلاً :

ـ لا تطلقوا النار .. نداء إلى كل الوحدات المقاتلة .. لا تطلقوا النار .

نطقها بالبرتغالية ، وبصوت حاد ، يختلف تمامًا عن صوته الأصلى ، فالتفت إليه رفاقه فى دهشة ، واتسعت عينا (بترو) فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ الرئيس .. يا إلهى ! إنه الرئيس .

لم يفهم الآخرون فى البداية ما يعنيه ، وهو يشير إلى (أدهم) ، هاتفًا فى انفعال مبهور :

ـ إنه صوت رئيس الجمهورية .

انعقد حاجبا (جيهان) فى شدة ، وهى تقول بالعربية :

ـ رئيس الجمهورية ؟!

أما (أدهم) ، فقد تابع بالبرتغالية فى سرعة ، مقلِّدًا صوت ولهجة رئيس الجمهورية البرازيلى :

ـ هنا مقر الرياسة .. نداء إلى كل المقاتلات الجوية .. محظور تمامًا إطلاق النار على الطائرة (يو ـ آر ـ ٣٣) .. هذه أوامر مباشرة ، من مقر الرياسة .

تعرَّف قائدا المقاتلتين ذلك الصوت على الفور ، وهما ينقضَّان على الطائرة الصغيرة ، وأدهشهما بشدة أن يرسل رئيس الجمهورية شخصيًا هذه الرسالة ، عبْر موجة الطيران الخاصة ، مما دفعهما إلى الإحجام عن إطلاق النار ، والانطلاق على جانبى الطائرة الصغيرة ، ثم الدوران للعودة إليها مرة أخرى ..

واختلَّ توازن الطائرة ، مع موجة التخلخل العنيفة ،

التى تكوّنت من انطلاق المقاتلتين على جانبيها ، فى الاتجاه العكسى ، ومالت على نحو بالغ الخطورة ، لولا أن سيطرت (جيهان) على عجلة القيادة ، بكل ما تملك من قوة ومهارة ، وما إن نجحت فى استعادة توازنها ، حتى قال (أدهم) فى حزم صارم :

- اتركى لى مقعد القيادة يا (جيهان) .

أرادت أن تعترض ، وأن تعلن أنها قادرة على السيطرة على الطائرة ، إلا أنه لم يمنحها الفرصة لتفعل ، وإنما حلّ حزام مقعد القيادة ، وانتزعها عنه ، واحتلّه فى لحظة واحدة ، فى نفس اللحظة التى انبعث فيها من اللاسلكى صوت أحد الطيارين ، وهو يقول فى توتر :

- نريد تأكيدًا بأمر السيّد الرئيس .. لقد تلقينا أوامر بإطلاق النار مباشرة ، دون إنذار !

غمغمت (جيهان) :

- يا للأوغاد !

أما (أدهم) ، فقد واصل انتحال صوت ولهجة الرئيس البرازيلى ، وهو يقول :

- ألم تتعرّف صوتى أيها الطيّار ؟

أجابه الطيّار فى توتر أكثر :

- بلى يا سيّدى الرئيس ، ولكن ..

قاطعه فى صرامة :

- ألم تتلق الأمر عبر موجة الاتصال الخاصة ، التى لا يستخدمها سواى ، مع وزير الدفاع ، وقائد القوات الجوية ؟!

غمغم الطيّار :

- بلى يا سيادة الرئيس .

صاح به (أدهم) ، مصطنعًا الغضب :

- ماذا هناك إذن .. أطع الأمر دون مناقشة يا رجل .. لقد ألغيت أوامر إطلاق النار .. هذه الطيارة (يو - آر - ٣٣) ، تقوم بمهمة سرية خاصة بالرياسة ، لا يمكن الإفصاح عنها .. هل تفهم ؟!

تنهّد الطيّار بصوت مسموع ، وقال :

- أفهم يا سيادة الرئيس .. أفهم .. سأطلب الإذن من القيادة ، بالعودة إلى القاعدة ، و ...

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

- كلاّ .. لا يمكنك أن تفعل يا رجل .. كفانا ما تبادلناه عبر الأثير ، من أسرار ومعلومات خطيرة ..

أغلق أجهزة الاتصال على الفور ، وقم مع رفاقك بحراسة الـ (يو ـ آر ـ ٣٣) ، حتى تخرج من مجالنا الجوى .. لست أحب أن تتعرَّض لحماقة أخرى .

ترَدَّد الطيَّار أمام هذا الأمر ، الذى يتنافى مع أبسط القواعد العسكرية ، وغمغم فى شىء من العصبية :

ـ الواقع يا سيادة الرئيس أن ..

قاطعه (أدهم) فى حدة :

ـ قلت لك : إنها مهمة بالغة الحساسية والخطورة والسرية يا رجل .. مهمةَ قد يتوقَّف على نجاحها أمن وبقاء وسلامةَ الوطن نفسه ..

ثم أضاف فى لهجة حازمةَ :

ـ ولكن لا بأس .. ستتلقَّى الآن ذبذبة التأكيد السريةَ ، وبعدها تنفذ الأمر على الفور .. هل تفهم ؟

أجاب الطيَّار فى اهتمام بالغ :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى الرئيس .. بالتأكيد .

لم تكن الدهشة قد زايلته بعد ، من إقدام رئيس الجمهورية بنفسه على أمر كهذا ، وساورته بعض الشكوك ، و ...

ولكنه تلقى بالفعل ذبذبة التأكيد السرية ..

ذبذبة خاصةَ للغاية ، يفترض ألا يعرفها سوى كبار قادة البلاد ، وفى أضيق الحدود ، ويمكن لجهاز خاص فى طائرته التقاطها ؛ لتحديد ما إذا كانت الأوامر الصادرة صحيحة أم لا ..

ولأن التوصُّل إلى تلك الذبذبة ، يكاد يبلغ حد الاستحالةَ ، فقد تنفس الطيَّار الصعداء ، فور تلقيه إياها ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ارتياح ، وهو يقول :

ـ لا بأس يا سيِّدى الرئيس .. سيتم تنفيذ الأوامر على الفور .. إنه لشرف عظيم أن أتحدَّث إلى سيادتكم شخصيًّا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو ينهى الاتصال ، ويقول ، مستعيدًا صوته الأصلى :

ـ أخشى أن هذا لن يكون رأيك ، عندما تعود إلى قاعدتك .

ولثوان ، ران على الطائرة صمت عميق ، قطعه (قدرى) ، وهو يهتف :

ـ أى جنون هذا ، الذى أقدمت عليه يا (أدهم) ؟! لقد انتحلت شخصية رئيس الجمهورية نفسه ؟!

وغمغمت (جيهان) مبهورة :

- كان بإمكانك أن تكتفى بانتحال شخصية قائد الطيران فحسب .

هزّت (منى) رأسها فى قوة ، وهى تقول مبتسمة ، فى حب وإعجاب :

- لو أنه اكتفى بهذا ، لما كان (أدهم) الذى أعرفه .

التفت إليها (جيهان) فى حركة حادة ، فى حين ضحك (أدهم) قائلاً :

- بالضبط .

ثم استرخى فى مقعد القيادة ، وهو ينطلق فى حراسة المقاتلتين ، متابعًا بابتسامة ساخرة هادئة :

- فلو أننى انتحلت شخصية قائد الطيران ، لشكّ الطياران فى أمرى ، ولعاودا الاتصال بالقيادة ، والتأكد من الأمر ، فليس من المنطقى أن يصدر إليهم الرجل أمرًا ما ، ثم يعود لإلغائه بهذا الحزم ، ولو أننى انتحلت شخصية وزير الدفاع نفسه ، لكان فى الأمر مخاطرة كبيرة ، إذ إنه من المحتمل أن يكون الوزير هو الذى أصدر القرار بالهجوم على طائرتنا ، ونسفها دون إنذار .. أما رئيس الجمهورية ، فهو شخص

لا يتوقع أحد ظهوره بغتة على الساحة ، فى موقف كهذا ، وعلى هذا النحو المباشر ، مما سيربك الطيارين حتمًا ، ويشلّ تفكيرهما ، ويفقدهما القدرة على اتخاذ قرار سريع مناسب ، ومع التقليد الجيّد لصوت الرئيس ولهجته ، واستخدامه قناة اتصال لاسلكية خاصة ، لا تتاح إلا لكبار القادة ، سيتضاعف ارتباكهما ، وستنتابهما حيرة بالغة ، ولكنهما سيميلان إلى تصديق الأمر ، على الرغم من غرابته .. بل ربما كانت غرابته نفسها هى جواز مروره إلى عقليهما .

غمغم (قدرى) مبهورًا :

- كنت أتصوّر أن العكس هو الصحيح !

قال (أدهم) فى سرعة :

- هما أيضًا سيتصوران هذا ، وسيبدو لهما أنه من الجنون أن ينتحل شخص ما شخصية الرئيس .

قالت (منى) مبتسمة :

- وأن يجيد انتحال شخصيته إلى هذا الحد .

أومأ برأسه ، مغمغمًا :

- بالضبط .. فالموقف كله عجيب وجنونى للغاية ، ولكن كل العوامل تشير إلى أن احتمالات صدقه أكبر

من احتمالات الخداع فيه ، والفضل فى هذا يعود ، بعد الله (سبحانه وتعالى) ، إلى زملائنا فى مكتب (البرازيل) ، الذين بذلوا جهدًا خرافيًا ، منذ بدءوا عملهم هنا ، حتى صارت لديهم شبكة قوية للغاية من المعلومات ، جعلتنا نتوصّل إلى معرفة موجة الاتصال الخاصة للمقاتلات البرازيلية ، وذبذبة التأكيد السرية للقوّات الجوية .

سأله (قدرى) بأنفاس مبهورة :

ـ وهل كنت تتوقّع حدوث أمر كهذا ؟!

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ رجل المخابرات الناجح لابد أن يضع فى اعتباره كل الاحتمالات المتوقّعة ، وحتى النادرة .

ابتسمت (جيهان) فى خبث ، مغمغة :

ـ هل ستخبرنى ؟!

ثم أسبلت جفنيها ، واسترخت فى مقعدها ، مستطردة :

ـ المهم أنه ما دمت تصرّ على قيادة الطائرة بنفسك فأيقظنى عندما نصل إلى (سوكريه) .

تحسّس (قدرى) معدته ، وقال فى لهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ ألن نتناول أى طعام هنا ؟! ينبغى أن أبدأ عملية صنع جوازات السفر الجديدة ، ولا يمكننى العمل بمعدة خالية .

ضحك (أدهم) ، قائلا :

ـ لابد أن تعتاد هذا الأمر يا صديقى ، فما زالت أمامنا ساعة كاملة ، قبل أن نبلغ (سوكريه) .

مطّ (قدرى) شفتيه ، وأشار إلى (بترو) ليناوله حقيبته ، وهو يغمغم :

ـ ساعة كاملة ؟! من يدرى ما الذى يمكن أن يحدث ، خلال هذه الساعة ؟!

نعم يا (قدرى) .. أنت على حق تمامًا فى عبارتك هذه ..

لا أحد يدرى ما الذى يمكن أن يحدث ، خلال هذه الساعة ؟!

لا أحد ..

مطلقًا ..

* * *

١ - الخطـــة ..

ران صمت مهيب على قاعـة الاجتماعـات ، فـى مبنى المخابرات العامة المصرية ، والدكتور (محمد العفيفى) يخـط بعض المعـادلات الرياضيـة المعقدة ، على لوحـة كبيرة ، وتطلـع إليـه الجميع فـى اهتمـام شديد ، محاولين فهـم تلك المعـادلات الصعبـة ، حتى التفت إليهم الدكتور (محمـد) ، قـائلا فـى حمـاس جارف :

- هذا ما توصلت إليه أيها السادة .. إنها ليست مسألة جغرافية والحمد لله .. إنها مسألة علمية بحتـة .. ليس من الضرورى أن أعود إلى دراسة الجغرافيا ، بعد هذا العمر .. كل ما أحتاج إليه هو تحديد مواصفات المكان المناسب لبناء مفـاعل نـووى ، ثم ترك الأمر كله بعدئذ لخبراء الخرائط وعلماء الجغرافيا ، لتطبيـق هذه المواصفـات على تضاريس المنطقـة ، وتحديـد الموقع بالضبط .

وفـى استفاضة وحمـاس ، راح يشرح معادلاتـه ، ويضـع مواصفـات المكـان المناسـب ، وحـار رجـال المخـابرات فى استيعاب تلك الأمـور المعقدة ، فقـال المدير فى صرامة :

- أشكرك على هذا الشرح المستفيض يا دكتور (محمد) ، ولكن هل يمكنك أن تنتقل بنـا إلى النتـائج مباشرة .

خلع خبير الهندسة النوويـة منظـاره ، وهـو يسـأله فى قلق :

- هل تعتقـد أنـه بإمكانكـم استيعـاب النتـائج بدون المقدمات ؟!

تبادل الجميع نظرة سريعة ، ثم قالوا فى آن واحد :

- بالتـأكيد .

تراجع فى دهشة ، مع ذلك الهتـاف المشترك ، ثم حدق فيهم لحظـة ، قبل أن يعود لارتداء منظـاره ، مغمغمًا :

- لا بأس .. ما دمتم تريدون هذا !

ثم التفت إلى خريطـة (بوليفيـا) ، المعلقة علـى الجدار ، متابعًا بنفس الحماس :

- لقد طرحت تلك المواصفات القياسية على برنامج الكمبيوتر الجغرافى ، وطلبت منه تحديد الأماكن التى يمكن أن تنطبق عليها تلك الصفات ، إلى أقرب حد ممكن ، فى (بوليفيا) ، وها هى ذى النتائج .. ثلاثة أماكن محتملة فحسب ، فى المنطقة كلها .. خط طول ٦٢° مع خط عرض ١٨° ، أو خط طول ٦٥° مع خط عرض ٢١,٥٠° ، أو خط طول ٦٧° مع خط عرض ١٥° .. ولو لاحظتم هذه الأماكن الثلاثة ، فسنجد أن الموقع رقم واحد على مقربة من العاصمة (سوكريه) ، أما الموقع رقم اثنين ، ففى منطقة (فيلا مونتز) ، والموقع الأخير قريب من (لاباز) ، التى يعتبرونها العاصمة الفعلية للبلاد ، باعتبارها أكبر مركز تجارى فى المنطقة كلها .

ابتسم المدير ، قائلاً :

- وتقول : إنك لا تجيد الجغرافيا !

تضرج وجه الدكتور (محمد) بحمرة الخجل ، وهو يغمغم :

- إنها مجرد معلومات عامة ، قرأتها منذ ساعة واحدة عن (بوليفيا) .

أشار إليه المدير ، قائلاً :

- لا بأس يا دكتور (محمد) .. لا بأس .. المهم أن تخبرنا : أىّ تلك المواقع الثلاثة يبدو لك أكثر مناسبة ، لبناء ذلك المفاعل النووى ؟

هزّ الدكتور (محمد) رأسه نفيًا ، وهو يجيب فى أسف :

- لا يمكننى تحديد هذا بدقة تامة أيها السادة .. إننى أعتذر .

تبادل الرجال نظرة سريعة ، قبل أن يقول المدير فى حزم :

- الواقع أنك قد بذلت جهدًا رائعًا يا دكتور (محمد) ، ونحن نشكرك عليه كثيرًا ، وسنواصل نحن البحث بأسلوبنا .

ثم التفت إلى رجاله ، مضيفًا :

- أما الآن ، فعليكم إبلاغ تلك المعلومات الجديدة لـ (ن - ١) .. أعتقد أنها ستفيده كثيرًا ، عندما يصل إلى (بوليفيا) .

اندفع أحدهم يقول :

- هذا لو بلغها سالمًا .

نطقها فى تلقائية ، ثم احتقن وجهه فى شدة ، مدركًا أن العبارة لم تكن تناسب الموقف قط ..

ولكن أحدًا لم يستنكر أو يعترض ..

فقط عاد الرجال يتبادلون نظرة صامتة عصبية ، وفى عقولهم تتردّد العبارة نفسها ، التى يخشاها كل منهم فى أعماقه ..

نعم .. هذا لو بلغ (بوليفيا) سالمًا ..

لو !!

* * *

ألقى (فيليب تواريه) ، محافظ (سوكريه) نظرة على ساعته فى عصبية ، وهو يراجع الأوراق العديدة على مكتبه ، ثم جذب صورة (أدهم صبرى) ، التى أرسلتها إليه السنيورا عبر الكمبيوتر ، وتطلّع إليها لحظة ، قبل أن يغمغم فى توتّر :

ـ عجبًا ! الرجل يبدو وسيمًا أنيقًا ، وعلى الرغم من هذا ، فنظرته تبعث فى جسدى قشعريرة عجيبة ، كما لو أنه يطلّ علىّ بالفعل ، من داخل الصورة .

وألقى الصورة فى حدة ، ومدّ يده ليلتقط سمّاعة هاتفه ، و ...

وفجأة ، انطلق رنين الهاتف ..

انطلق بغتة ، على نحو ارتجف له جسده ، حتى كاد يقفز من مقعده ، وهو يحدّق فى الهاتف فى ارتياع ، ثم لم يلبث أن التقط سمّاعته ، وقال فى توتر بالغ :



والقى الصورة فى حدة ، ومد يده ليلتقط سماعة هاتفه ..

- من المتحدث ؟!

أتاه صوت السنيورا ، وهى تسأله فى صرامة :

- هل نفذت أوامرى يا (نواريه) .

قفز من مقعده بالفعل ، وهو يهتف :

- أهو أنت يا سينيورا ؟! نعم .. إننا .. إننا تنفذ أوامرك الآن .

كان يرتجف ، وهو يتحدث إليها ، على نحو يثير الشفقة ، حتى لا يصدق المرء أن هذا الرجل هو نفسه محافظ العاصمة ، الصارم الحازم القوى ، الذى يرتجف لمرآه الجميع ، والذى بدا الآن أشبه بطفل مخطئ ، يقف أمام أمه ، التى تلوّح فى وجهه بعصاتها ، والسنيورا تصيح فيه ، عبر أسلاك الهاتف :

- ماذا تعنى بأنكم تنفذون الأوامر يا رجل ؟! سألتك : هل نفذتها أم لا ؟!

تنهّد الرجل فى عصبية ، مجيبًا :

- نفذنا معظمها يا سنيورا .

زمجرت فى شراسة ، على نحو غاص معه قلبه بين ساقيه ، قبل أن تقول فى صرامة غاضبة مخيفة :

- من الواضح أنك لا تفهم الأمر أو تقدّره جيدًا يا رجل .. ذلك الرجل ، الذى أرسلت لك صورته ،

واحد من أخطر رجال المخابرات فى العالم ..

احتقن وجهه بشدة ، وهو يقول فى ذعر :

- المخابرات ؟! يا إلهى ! هل نواجه الأمريكيين يا سيّدتى ؟!

صاحت به فى حدة :

- تماسك يا رجل .. إننا لا نواجه الأمريكيين .

قال فى هلع :

- ولكنك تقولين إنه من أخطر رجال المخابرات فى العالم .

قالت فى غضب :

- يا لك من أحمق ! هل صدّقت دعاية الأمريكيين ، التى تحاول إقناعنا بأن رجال مخابراتهم هم أفضل رجال مخابرات فى العالم ؟!

سألها الرجل ، وهو يجفف عرقًا وهميًا عن وجهه :

- إلى أية دولة ينتمى إذن يا سنيورا .

قالت فى صرامة :

- لا شأن لك بهذا الآن .. كل ما عليك أن تعرفه هو أنه فى طريقه إلى هنا ، من (ريو) ، مع عدد من رفاقه .. امرأتان ورجل ، فى طائرة (يو - آر - ٣٣) .

ازدرد لعابه ، وهو يكرر :

- فى طائرة !!

بدا له صوتها صارمًا عميقًا ، وهى تقول :

- ولا ينبغى أن تصل تلك الطائرة إلى (سوكريه) يا (نواريه) .

ازدرد لعابه مرة أخرى ، وهو يسألها فى قلق :

- ماذا تريدين هذه المرة يا سنيورا ؟!

أجابته فى صرامة :

- لقد سمعتنى يا (نواريه) .. لا ينبغى أن تصل تلك الطائرة إلى (سوكريه) .

ثم أضافت ، فى لهجة تجمدت لها الدماء فى عروقه :

- أبدًا .

قالتها ، وأنهت الاتصال فى عنف ، فانتفض جسده مرة أخرى ، وحدق فى سماعة الهاتف لحظة ، ثم أعادها إلى موضعها فى بطء ، مغمغمًا :

- من الواضح أنها ليلة لن تمضى بسهولة .

وجلس على مقعده ثانية ، وهو يفرك كفيه فى عصبية شديدة ، مرددًا :

- ما الذى ينبغى فعله لإيقاف طائرة ؟! تلك المجنونة لا تدرك أننى لا أستطيع طلب هذا من القوات الجوية مباشرة .. هذا لا يدخل تحت نطاق سلطتى المباشرة .. لا بد أن أطلب هذا من وزير الدفاع ، وهذا يعنى إشراكه فى الأمر ، وتفريق الأوراق على نطاق واسع ، لا يتفق مع رغبتى فى عدم جذب الانتباه أو لفت الأنظار .. يا إلهى ! ما الذى ينبغى فعله لتجاوز الأمر ، دون أن أثير غضبها ؟!

اعتصر ذهنه فى شدة ، محاولاً البحث عن وسيلة ما ..

واعتصره ..

واعتصره ..

ثم فجأة ، قفزت إلى ذهنه فكرة ..

فكرة جعلته يهتف فى حماس :

- يا إلهى ! إننى عبقرى بحق .

ثم اختطف سماعة هاتفه ، وجسده كله يرتجف من فرط الانفعال هذه المرة ..

لقد توصل بالفعل إلى خطة عبقرية .. للغاية ..

* * *

« إلى قائد الـ (يو ـ آر ـ ٣٣) .. لقد اقتربنا من المجال الجوى البوليفى ، ولا يمكننا مواصلة الطريق معك لأكثر من هذا .. »

تلقى (أدهم) هذه الرسالة ، عبر موجة الاتصالات العادية ، فى لاسلكى الطائرة ، فضغط زر التحدث ، قائلاً بالبرتغالية :

ـ فليكن أيها الطيار .. لقد فعلت أقصى ما يمكنك بالفعل .. يمكنكما العودة الآن ، وسأبلغ الرئيس عن مدى تعاونكما .

انفصلت المقاتلتان عن الطائرة الصغيرة ، والطيار يقول :

ـ هذا عظيم يا سيدى .. عظيم للغاية .. أبلغ فخامة الرئيس أنه يسعدنا كثيرًا أن نؤدى دورًا محدودًا ، فى مهمة سرية بالغة الخطورة كهذه .. وبالمناسبة .. اسمى (ألبرتو) ، وزميلى (ميلان) ، ورقما طائرتينا هما (بى . إيه . إف ٣٠٩) و (بى . إيه . إف ٢٩٧) على التوالى .

ابتسم (أدهم) ، قائلا :

ـ سأتأكد من إبلاغ هذه المعلومات إلى الرئيس بنفسى .

ابتعدت المقاتلتان ، وصوت الطيار يأتى عبر اللاسلكى ، قائلا :

ـ وداعًا ، وحظًا سعيدًا فى مهمتكم .

غمغم (أدهم) :

ـ أشكرك .

ثم انخفض بالطائرة بزاوية هادئة ، فهتف (قدرى) :

ـ هل انصرفا ؟!

أجابه (أدهم) فى اقتضاب ، وبلهجة تشف عن تركيزه الشديد فى أمر ما :

ـ بالتأكيد .

ران عليهم جميعًا صمت مطبق ، وهم يراقبون انخفاض الطائرة ، ثم قطع (أدهم) هذا الصمت ، وهو يقول ، وكأنه يتابع حديثه :

ـ الواقع أن المقاتلتين قدمتا لنا خدمة كبيرة للغاية ، فلولاهما ما أمكننا عبور كل تلك المسافة ، داخل المجال الجوى البرازيلى ، فى قيادة ليلية ، مع معرفتنا المحدودة بالمنطقة .

سأله (قدرى) فى قلق :

ـ وماذا عن المجال الجوى البوليفى ؟

انخفض (أدهم) بالطائرة أكثر ، وهو يجيب :
ـ سنحاول استغلال التضاريس الجبلية لـ(بوليفيا) ؛ لتفادى أجهزة الرادار والدفاع الجوى .
اتسعت عينا (قدرى) فى ارتياع ، وهو يهتف :
ـ وماذا لو اصطدمنا بأحد تلك الجبال ؟!
لم يكد يلقى سؤاله ، حتى انفجر الجميع بالضحك فجأة ، فانعقد حاجباه ، وهو يقول فى شىء من العصبية :
ـ هل لى أن أعرف ما يضحككم ؟!
أجابه (أدهم) بابتسامة كبيرة :
ـ لا شىء يا عزيزى (قدرى) .. لا شىء .
هتف (قدرى) فى حدة :
ـ ماذا تعنى بلا شىء ؟! إنكم تضحكون بالفعل !
أجابته (منى) مبتسمة :
ـ الجبال ليست شيئًا بسيطًا لنرتطم بها يا (قدرى) .
وضحكت (جيهان) ، قائلة :
ـ من الواضح أنك تجهل كل شىء عن الطيران .
مط (قدرى) شفتيه ، وقال :
ـ ربما كان هذا صحيحًا .

ثم استدرك فى عناد :
ـ ولكننى أعلم الكثير عن أشياء أخرى .
أجابه (أدهم) مبتسمًا :
ـ بالتأكيد يا صديقى .. إنك صاحب أبرع أصابع عرفتها ، فى حياتى كلها .
ثم غمز بعينيه ، مستطردًا :
ـ وبالمناسبة .. هل انتهت أصابعك الذهبية ، من صنع جوازات السفر الجديدة ؟!
أجابه (قدرى) فى شىء من الزهو :
ـ إننا نطير منذ ما يقرب من الساعة ، وعمل بسيط كهذا لا يحتاج من مثلى لكل هذا الوقت .
هتف (جيهان) :
ـ يا للغرور !
هزَّ (قدرى) كتفيه المكتظتين ، قائلا :
ـ لو أن قولى لا يعجبك ، دعينا نر مهارتك فى تزوير توقيع بسيط ، لأى شخص عادى .
أطلق (أدهم) ضحكة قصيرة ، وقال :
ـ كفى يا رفاق .. ادخروا جهدكم هذا لصراعنا القادم ، عندما نبلغ (سوكريه) .

سأله (قدرى) فى توتر :
ـ هل تعتقد أننا سندخل فى صراع جديد هناك ؟!
أجابته (منى) :
ـ بالتأكيد يا (قدرى) .. ليس لدى أدنى شكٍ فى هذا ، فلا ريب فى أن رجال السنيورا فى (ريو) قد أبلغوها ما حدث هناك ، وهى تعلم حتمًا أننا فى طريقنا إلى (بوليفيا) ، فى طائرة (يو ـ آر ـ ٣٣) ، وستبذل قصارى جهدها بالطبع ، لمنعنا من بلوغ (سوكريه) ..
قالت (جيهان) فى اهتمام :
ـ هذا صحيح .. إنها لن تسمح بوصولنا إلى عقر دارها .
ارتجف صوت (قدرى) ، وهو يقول :
ـ عظيم .. حديثكم هذا يرفع من روحى المعنوية بالتأكيد .
مطّ (أدهم) شفتيه ، وقال :
ـ السؤال هو : ما الذى يمكن أن تفعله بالضبط .
تنهّدت (منى) ، مغمغمة :
ـ الدقائق القادمة ستكشف هذا الأمر .

هتف (قدرى) فى هلع :
ـ أتعشّم ألا تكشفه .
وانطلقت ضحكات الجميع مرة أخرى ، فهتف محنقًا :
ـ ما الذى يضحككم باللّه عليكم فى موقف كهذا .
ابتسم (أدهم) مشفقًا ، ثم قال بالبرتغالية :
ـ (بترو) .. استعد بالمظلات .
كان (بترو) يجلس صامتًا طوال الوقت ، مع جهله باللغة العربية ، وبالحديث الذى يدور بينهم ، فنهض على الفور ، والتقط المظلاّت ، وراح يوزّعها عليهم ، فهتف (قدرى) فى هلع :
ـ ما هذا ؟! هل تتوقعون منى أن أستخدم هذا الشىء ؟!
أجابته (جيهان) ، وهى تحاول دفعه إلى ارتداء المظلة :
ـ بالتأكيد .. ستبدو وسيمًا للغاية ، و ...
قاطعها فى حدة ، وهو يدفعها بعيدًا عنه :
ـ بل سأبدو بشعًا ، عندما أسقط مع ثقل وزنى ، وأرتطم بالأرض .

قال (أدهم) فى حزم :

- سأعمل على ألا يحدث هذا .

صاح (قدرى) فى عناد :

- لا يمكننى أن أرتديه .. سأسقط حتمًا .. أنا أعرف نفسى ، ولن ..

قاطعه (أدهم) بصيحة صارمة :

- ارتد المظلة يا (قدرى) .. الآن .

امتقع وجه (قدرى) ، وهو يحدّق فى (أدهم) ، الذى تابع ، دون أن يلتفت إليه :

- ارتد المظلة ، وإلا فأقسم أن ألقيك خارج الطائرة بدونها ، إذا ما اضطرنى الأمر لهذا .

اتسعت عينا (قدرى) فى هلع ، ونقل بصره بينهم ، وهو يقول مرتبكًا :

- إنه مجرّد تهديد .. أليس كذلك ؟! (أدهم) لا يمكن أن يلقينى خارج الطائرة دون مظلة .. إننى صديقه الوحيد .. أليس كذلك ؟!

تطلّعت إليه (جيهان) فى هدوء ، قائلة :

- هل تعتقد أن (أدهم) سيضحى بنجاح المهمة من أجلك ؟!

اتسعت عيناه أكثر وأكثر ، وبدا وكأن الفكرة قد أصابته بارتياع شديد ، ثم لم يلبث أن اختطف المظلة من يد (جيهان) ، قائلا فى عصبية :

- سأرتديها .

ابتسمت (منى) ، وارتدت مظلتها فى صمت ، ثم التفتت إليه ، وتطلّعت لحظة إلى وجهه المحتقن فى توتر ، ثم قالت متعاطفة :

- لا تقلق يا (قدرى) .. إنه مجرّد إجراء وقائى ربما لا نحتاج إلى استخدامها قط ، وربما ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، أطفئت الأنوار بغتة داخل الطائرة ، فقفز (قدرى) صارخًا :

- ماذا حدث ؟! هل هاجمونا ؟!

أجابه (أدهم) فى صرامة :

- عد إلى مقعدك يا (قدرى) .. لقد أطفأت الأنوار ؛ لأننا نقترب من المنطقة العسكرية ، ولا أريد أن يلمحونا ، فى هذه المرحلة بالذات .

سألته (جيهان) فى اهتمام :

- وكيف علمت بوجود منطقة عسكرية هنا ؟!

أجابها فى حزم :

- إنها إحدى المعلومات شديدة الأهمية ، التى لا بد من معرفتها ، عندما يعمل المرء فى (أمريكا) الجنوبية .. مواقع المعسكرات ، ومناطق الكثافة العسكرية ..

تطلّعت فى اهتمام عبر نافذة الطائرة المجاورة لها ، إلى الجبال ، التى ينطلق (أدهم) بينها على ارتفاع منخفض ، ثم غمغمت :

- لست أرى أية مناطق عسكرية .

أجابها فى سرعة :

- إننا ننطلق بالفعل على مسافة أحد عشر كيلومترًا من إحدى المناطق العسكرية ، ولو واصلنا الانطلاق بنفس السرعة والهدوء ، لثلاث دقائق أخرى ، دون إضاءة الأنوار ، فلن يمكنهم قط أن يلمحونا ، ولن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، أضيئت السماء فجأة من بعيد ، ثم بلغ مسامعهم دوى انفجار مكتوم(*) ، أعقبه انطلاق صوت مذعور ، عبر جهاز اللاسلكى ، يهتف :

(*) سرعة الضوء تفوق سرعة الصوت بعدة أضعاف ، إذ تبلغ سرعة الضوء (٢٩٩٧٩٠ كم/ث) ، فى حين لا تزيد سرعة الصوت على (٠٫٣٤٠ كم/ث) .

- ربّاه ! إنها طائرة صغيرة تهاجم المعسكر ، وتقصفه بالصواريخ .. طائرة من طراز (يو - آر - ٣٣) .. أطلقت علينا صاروخًا ، ثم انطلقت هاربة .. أكرّر لكل وحدات الدفاع الجوى .. طائرة (يو - آر - ٣٣) ، أطلقت صاروخًا على معسكر حربى ، ولا بد من التعامل معها على الفور .

وانعقدت حواجب الجميع فى شدة ، فى حين ارتجف (قدرى) ، وهو يقول :

- يا إلهى ! الآن عرفت ما الذى يمكن أن تفعله السنيورا ؟! الآن فقط عرفت !

وانهار فى مقعده ..

تمامًا ..

* * *

« صدقينى يا سنيورا .. إنها فكرة عبقرية بحق .. »

هتف (نواريه) بالعبارة فى حماس ، عبر أسلاك الهاتف ، ولوّح بذراعه كلها ، قبل أن يتابع فى انفعال :

- خبرتى السابقة كمهندس طيران ، جعلتنى أتخيّل المسار المنطقى ، الذى يمكن أن تتخذه طائرة ، تحاول التسلل إلى مجالنا الجوى ، دون أن تلتقطها

أجهزة الرادار ، أو تحدّد قوات الدفاع الجوى موقعها ، فمن المحتم أن تحلّق طائرة كهذه على ارتفاع منخفض ، وسط سلاسل الجبال الشرقية ، التى ستقودها حتمًا إلى حدود العاصمة (سوكريه) ، لذا فقد اتصلت بأحد أعوانى ، من رجال الجيش ، فى تلك المنطقة ، وحسبت سرعة الطيران اللازمة ، والزمن اللازم لبلوغ منطقة المعسكر تقريبيًا ، واستطعت تحديد الوقت ، الذى ستصل فيه الطائرة إلى حد ما ، ثم طلبت من ذلك الرجل أن ينسف أحد مخازن الذخيرة فى المعسكر ، فى التوقيت المناسب ، ثم يهتف عبر اللاسلكى ، مدعيًا أن طائرة صغيرة ، من طراز (يو - آر - ٣٣) ، قد أطلقت صاروخًا نحو المخزن .

وانطلقت من حلقه ضحكة هستيرية ، ثم استطرد :

- هل تعلمين ما رد الفعل الطبيعى ، فى مثل هذا الموقف ؟! سيطلقون المقاتلات على الفور ، لتمشيط المنطقة ، وستعثر تلك المقاتلات حتمًا على الـ (يو - آر - ٣٣) الصغيرة ، و ...

لم يحاول إكمال عبارته ، وهو يطلق ضحكة أخرى ، ويقول :

- أنت تعرفين المصير الطبيعى بالتأكيد .

كان يضحك فى انفعال تام ، حتى إنه لم ينتبه إلى أنها لم تنطق حرفًا واحدًا طوال الوقت ، إلا مع ضحكته الأخيرة ، فبترها دفعة واحدة ، وسألها فى قلق :

- سنيورا .. أما زلت هناك ؟!

أجابته فى برود عجيب :

- بلى ..

وعلى الرغم من أن جوابها لم يتجاوز تلك الحروف القليلة ، إلا أنه أطلق فى أعماقه قشعريرة باردة ، جعلته يفقد حماسه كله ، ويقول بصوت زايلته الثقة :

- هل ارتكبت خطأ ما يا سنيورا ؟!

أدهشه أن أجابته بنفس البرود :

- مطلقًا .

وقبل أن ينبس بحرف إضافى ، تابعت فى صرامة مباغتة :

- ولكننى لم أعتد الابتهاج بأمر ما ، قبل أن يتم حسمه على نحو نهائى ، وبصورة لا تقبل الشك .

ارتبك ، مغمغمًا :

- سنيورا .. صدقينى .. الخطة محكمة للغاية ، و ...

قاطعته فى صرامة :

- هذا لا يعنينى مطلقًا يا (نواريه) .

قال فى دهشة :
- لا يعنيك ؟!
أجابته فى صرامة أكثر :
- ولست أنتظر منه نجاحًا أيضًا أيها المحافظ .
تضاعفت دهشته ألف مرة ، وهو يقول :
- سنيورا .. لا يمكننى أن أفهمك .
قالت فى حدة :
- لا داعى أن تحاول إذن يا رجل .
ثم استطردت فى لهجة قاسية آمرة :
- اسمع يا (نواريه) .. دعنى أكشف أوراقى أمامك فى وضوح .. ذلك الرجل ، الذى طلبت منك مواجهته ، ليس أحد أخطر رجال المخابرات فى العالم فحسب ، بل هو فى الواقع ، أخطر رجل مخابرات على الإطلاق .
خفق قلبه فى عنف ، عندما استمع إلى عبارتها الأخيرة ، وتمتم :
- يا إلهى !
صاحت فى صرامة :
- قلت إننى لا أنتظر نجاحًا .
جف حلقه على نحو عجيب ، وهو يغمغم :

- ما المفترض أن نفعله إذن يا سنيورا ؟!
أجابته فى صرامة تقطر حنقًا :
- أقصى ما يمكنكم يا رجل .. قاتلوه .. طاردوه .. أرسلوا خلفه كل رجل لديكم .. كل سيارة .. كل طائرة .. ليس المهم أن تنتصروا عليه ، أو تتعادلوا معه ، أو حتى تنهزموا أمامه .. المهم أن يلهث طوال الوقت ، وبلا انقطاع ، وألا يجد ورفاقه فرصة لالتقاط أنفاسهم ، قبل تسع ساعات كاملة .
سأل فى دهشة حذرة :
- ولماذا تسع ساعات بالتحديد ؟!
أجابته بكل غضب وعصبية الدنيا :
- لأن هذا كل ما أحتاج إليه من وقت .
قالتها ، وأنهت المحادثة فى عنف ، تاركة إياه ، وقد غمرته الحيرة حتى أذنيه ، ودار رأسه بألف سؤال وسؤال ، وعلى رأسها سؤال واحد ..
ترى كيف سارت الأمور هناك ، وسط سلاسل الجبال ؟!
كيف ؟!

* * *

٢ - هبـوط ..

« ما الذى يمكن أن نفعله الآن ؟! »

ألقت (جيهان) السؤال على (أدهـم) فى حزم ، وهى تغادر مقعدها ، وتتجه نحوه ، فأجابها وهو ينخفض بالطائرة أكثر :

- من الواضح أن اللعبة محكمة للغاية ، وأنهم استطاعوا تقدير موعد وصولنا بدقة تستحق الإعجاب ، ومع ذلك الانفجار الملفق ، سيتم استنفار كل وحدات الدفاع الجوى للبحث عن طائرة صغيرة ، من طراز (يو - آر - ٣٣) ، وأعتقد أنهم لن يفكروا كثيرًا ، قبل أن يطلقوا النار عليها .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حسم :

- فرصتنا الوحيدة ، هى أن نحسن استغلال فترة استنفار قوات الدفاع الجوى هذه إلى أقصى حد .

قال (قدرى) فى دهشة :

- نحسن استغلالها ؟! وكيف هذا ؟!

انخفض (أدهم) بالطائرة أكثر وأكثر ، وهو يجيب :

- عندما يتم استنفار وحدات الدفاع الجوى ، لمواجهة أو تدمير طائرة أجنبية ، لا يمكن إطلاق المقاتلات المحلية خلف تلك الطائرة فى الوقت ذاته ، خشية أن تصيب وحدات الدفاع الجوى طائراتها بخطأ ما ، وهذا يعنى أن أمامنا عشر دقائق على الأقل ، قبل أن تظهر مقاتلاتهم .

سأله فى عصبية :

- وما الذى يمكننا فعله ، خلال عشر دقائق فحسب ؟!

صمت (أدهم) لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

- الكثير .

قالها ، وانحرف بالطائرة فى حركة حادة ، مسايرًا انحناء المسار الجبلى ، وهو يسأل (بترو) بالبرتغالية :

- هل أحضرت خريطة (بوليفيا) ؟

هب إليه (بترو) على الفور ، وهو يحمل الخريطة ، قائلاً فى حماس :

- بالطبع يا (أومو بيليجروسو) .

قال (أدهم) بسرعة :

- التقطى الخريطة يا (جيهان) ، وابحثى لنا عن بحيرة صغيرة .. لقد لمحتها فى مكان ما هنا .

بدا التوتر على ملامح (منى) ، عندما التقطت (جيهان) الخريطة ، وراحت تفحصها فى سرعة ، مغمغمة :

- بحيرة صغيرة ؟!

أجابها (أدهم) فى سرعة :

- نعم .. إنها ليست بحيرة بالمعنى العام ، ولكنها اتساع واضح ، فى أحد الأفرع الجبلية لنهر ما ، فى هذه المنطقة .

سألته في اهتمام :

- هل تفكر فى الهبوط على سطح البحيرة ؟!

أجابها فى حزم :

- كلا .. إننى أفكرَ فى ...

قبل أن يتمَ عبارته ، انطلق من جهاز اللاسلكى صوت صارم ، يقول بالأسبانية :

- إلى جميع وحدات الدفاع الجوى .. لا تطلقوا النار على الطائرة (يو - آر - ٣٣) أكرِّر .. لا تستخدموا وسائل الدفاع الجوى مطلقًا .

التقى حاجبا (أدهم) فى شدة ، فى حين رفعت (جيهان) رأسها عن الخريطة فى حركة حادة ، ومالت (منى) إلى الأمام ، محاولة استيعاب الكلمات الأسبانية ، و (قدرى) يقول فى عصبية زائدة :

- ما الذى يحدث بالضبط ؟!

هتفت به (جيهان) :

- لقد أصدروا أمرًا بعدم استخدام وسائل الدفاع الجوى .

تهلَّلت أساريره ، وهو يهتف :

- حقًا ؟!

التفتت إليه (منى) ، قائلة فى عصبية :

- ألا تدرك ما يعنيه هذا يا (قدرى) ؟!

التفت إليها متسائلاً ، فتابعت :

- إنه يعنى أن المقاتلات قد انطلقت فى أعقابنا .

انطلقت من حلقه شهقة قوية ، وتشبَّث بمقعده فى حركة آلية ، و ...

وفى نفس اللحظة ، برزت طائرتا هليوكوبتر ، من السلاح الجوى البوليفى ..

برزتا بغتة ، من خلف بروز جبلى ضخم ، وانقضتا

على الطائرة الصغيرة ، وكأنما تعرفان موقعها بمنتهى الدقة ..

وصاح (أدهم) فى صرامة :

- تشبثوا بمقاعدكم .

قالها ، وارتفع فجأة بالطائرة ، ومال بها على نحو مخيف ، بحيث أصبحت تنطلق عموديًا ، وجناحها الأيسر ناحية الأرض ، وهى تندفع نحو طائرتى الهليوكوبر الحربيتين مباشرة ..

وكانت مبادرة مباغتة للغاية ، لقائدى الطائرتين ، فهتف أحدهما فى دهشة :

- ما الذى يفعله هذا المجنون ؟!

لم يكن زميله أقل منه دهشة ، إلا أن كليهما ، كمقاتلين محترفين ، لم يسمحا للدهشة بإلغاء عقليهما ، فضغطا زرى إطلاق النار فى سرعة ..

وانطلقت رصاصاتهما نحو الطائرة الصغيرة ..

ولكن تلك الزاوية ، التى انطلق بها (أدهم) نحوهما ، جعلتهما يواجهان مقدمة الطائرة وحدها فاخترقت بعض رصاصاتهما جزءًا منها ، فى حين طاشت معظم الرصاصات الأخرى ، فيما عدا ثلاث ،

اخترقت كلها جناحى الطائرة ، التى واصلت الانطلاق ، وكأنما لا يعنيها أمر الرصاصات المنهمرة عليها كالمطر ..

ثم مرقت بين طائرتى الهليوكوبتر بأقصى سرعتها ، وبنفس الميل الحاد ..

ومع موجة التخلخل ، التى نشأت من تعارض الاتجاهين ، فقدت إحدى الطائرتين توازنها ، ومالت على نحو مخيف ، فصاح قائد الهليوكوبتر الثانية فى غضب :

- اللعنة .. ما الذى يفعله بنا هذا الرجل ؟!

استعاد قائد الهليوكوبتر الأولى توازنه فى سرعة ، وجذب عصا القيادة ، ليدور بالهليوكوبتر ، هاتفًا :

- لن نسمح له بأية مبادرة أخرى .. دعنا نطارده ، وننسفه نسفًا .. وبلا رحمة أو هوادة .

استدار الثانى بطائرته ، وانطلقا جنبًا إلى جنب نحو المنحنى الجبلى القريب ، الذى اختفت خلفه طائرة (أدهم) ، وأحدهما يقول فى صرامة :

- لن يمكنه الابتعاد كثيرًا بطائرة كهذه .. سنلحق به على الفور ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، برزت الـ (يو ـ آر ـ ٣٣) فجأة ، من ذلك المنحنى الجبلى ، وانقضّت عليهما مباشرة ، فاتسعت عينا قائد الهليوكوبتر الأولى ، وهو يميل بالطائرة فى سرعة ، محاولاً تفادى الاصطدام ، هاتفًا :

ـ اللعنة ! ما الذى يفعله هذا المجنون ؟!

أما قائد الهليوكوبتر الثانية ، فقد جذب عصا القيادة فى حركة آلية ، للارتفاع بالطائرة ، ولكن (منى) و (جيهان) برزتا فجأة ، من باب الطائرة المفتوح ، وأطلقتا رصاصاتهما نحوه ، فى غزارة مخيفة ..

ومال الطيّار بالهليوكوبتر أكثر وأكثر ، و ...

وارتطمت مروحتها الكبيرة بحافة المنحنى الجبلى ، فى نفس اللحظة التى ، ارتفعت فيها طائرة (أدهم) ..

وتحطمت مروحة الهليوكوبتر فى عنف ، وتطايرت على نحو مخيف ، قبل أن يرتطم جسم الهليوكوبتر نفسه بالصخور ..

ودوى الانفجار ..

وبينما كان يدور بطائرته ، رأى قائد الهليوكوبتر الثانية ذلك الانفجار ، وشاهد حطام طائرة زميله

يتطاير فى كل مكان ، فى حين تدور الطائرة الصغيرة حول نفسها ، وتنطلق مرة أخرى نحو ذلك المنحنى الجبلى ، فصرخ فى غضب :

ـ اللعنة ! لن تفلتوا منى أبدًا .

ودفع عصا القيادة ، لينطلق بأقصى سرعته خلف طائرة (أدهم) ، وهو يضغط زر إطلاق النار بكل قوته ..

وانطلقت الرصاصات كالسيل المنهمر ، لتخترق ذيل طائرة (أدهم) ، على نحو جعلها ترتجّ فى عنف ، فصاح (قدرى) :

ـ رباه ! لقد ظفر بنا .

أجابه (أدهم) فى صرامة ، وهو يرتفع بالطائرة بغتة :

ـ ليس بعد .

مالت الطائرة على نحو مخيف ، وهى ترتفع بزاوية شبه عمودية ، ولكن قائد الهليوكوبتر مال خلفها فى مهارة مدهشة ، وهو يواصل إطلاق النار ، فهتفت (منى) :

ـ لو استمرّ الأمر على هذا المنوال ، سينتهى الأمر بنا وسط انفجار رهيب .

التقى حاجبا (أدهم) أكثر وأكثر ، وهو يناور بالطائرة ، بكل ما يمتلكه من مهارة وبراعة وخبرة ، وبأقصى ما يمكن انتزاعه ، من طائرة بسيطة كهذه ، ثم صاح :

ـ (جيهان) .. استخدمى عبوة الوقود الإضافية فى المؤخرة .

انعقد حاجبا (منى) فى شدة ، فى حين هتفت (جيهان) فى حماس :

ـ آه .. فهمت .

قالتها ، وانطلقت نحو مؤخرة الطائرة ، واختطفت عبوة الوقود الإضافية الضخمة ، وانتزعت غطاءها ، ثم حشت فوهتها بقطعة كبيرة ، من قماش أحد المقاعد ، فاتسعت عينا (قدرى) فى ارتياع ، وهو يهتف :

ـ ماذا تصنعين ؟!

أجابته بنبرة ساخرة ، وهى تشعل النار فى طرف قطعة القماش :

ـ قنبلة .

تضاعف اتساع عينيه ، وسقط فكه السفلى فى

بلاهة ، وانحبست الكلمات فى حلقه ، فلم يستطع أن ينطق حرفًا واحدًا ، فى حين هتفت (جيهان) ، وهى تسرع بتلك العبوة ، ذات الطرف المشتعل ، نحو باب الطائرة :

ـ هيا يا (بترو) .. سنكرِّر نفس ما فعلته ، عندما أطلقنا النار على الهليوكوبتر الأولى .. ستمسك بى فى قوة ، حتى لا أسقط من الباب المفتوح .

التقط (بترو) العبوة المشتعلة منها ، وهو يقول فى حزم :

ـ أعتقد أنه يمكننى أن أفعل ما هو أفضل يا سنيورا .

ثم فتح باب الطائرة بحركة واحدة ، وأمسك طرفه بيمناه فى قوة ، وبرز خارجه ، وهو يلوح بالعبوة المشتعلة بيسراه ، هاتفًا :

ـ خذها يا قائد الهليوكوبتر .. خذها هدية من (أومو بيليجروسو) .

كان قائد الهليوكوبتر يواصل إطلاق نيرانه على الطائرة الصغيرة ، وهو يطاردها فى إصرار ، عندما لمح ذلك المشهد ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :



ثم فتح باب الطائرة بحركة واحدة ، وأمسك طرفه بيسناه فى قوة ، وبرز خارجه ، وهو يلوح بالعبوة المشتعلة بيسراه ..

- رباه ! ما الذى ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، ألقى (بترو) العبوة نحوه بكل قوته ..

واتسعت عينا الطيَّار ، وقد أدرك طبيعة الموقف ..

وجذب عصا القيادة بكل قوته ..

وارتفعت الهليوكوبتر بسرعة ..

وكادت تتفادى الاصطدام ..

والانفجار ..

نقول كادت ..

ولكن عشرة سنتيمترات فحسب صنعت فارقًا كبيرًا ..

لقد أصابت العبوة المشتعلة مؤخرة الذيل ، و ...

وانفجرت ..

ومع انفجارها ، طارت المروحة الخلفية للهليوكوبتر ، واشتعلت فيها النيران ، وراحت تدور حول نفسها فى عنف ، وقائدها يبذل قصارى جهده للسيطرة عليها ، والهبوط بها فى مكان ما ، قبل أن تمتدّ النيران إلى خزان وقودها ، وتنفجر ..

ومن حسن حظه أن نجح فى هذا ، فى اللحظة الأخيرة ، وانطلق يعدو خارج الهليوكوبتر ، التى

انفجرت خلفه فى عنف ، فأطاحت به ثلاثة أمتار كاملة ، قبل أن يرتطم بالصخور ، ويتدحرج فوقها بشدة ، ثم يستلقى لاهثًا ، محاولاً التقاط أنفاسه فى صعوبة ، وهو يتابع طائرة (أدهم) ، التى ابتعدت بأقصى سرعة ، وخلفها خيط من الدخان الأسود ، جعله يلوّح بقبضته فى الهواء ، هاتفًا :

ـ ها .. لقد ظفرت بك .. ظفرت بك ، على الرغم من كل ما حدث .. ظفرت بك .

هتف بالعبارة ، ثم انطلق يقهقه فى عصبية ، وطائرة (أدهم) تبتعد .

وتبتعد ..

وتبتعد ..

وبداخلها صاحت (منى) :

ـ الرصاصات أصابتنا فى غزارة يا (أدهم) .. الطائرة لن تحتمل طويلاً .

غمغم (أدهم) فى صرامة :

ـ أعلم هذا .

ثم هتف :

ـ (جيهان) ... هل عثرت على تلك البحيرة ؟!

اختطفت الخريطة مرة أخرى ، وهى تقول :

ـ ما زلت أبحث عنها .

صاح (قدرى) فى عصبية :

ـ ما الذى تريد البحيرة من أجله .. إننى لا أجيد السباحة ؟!

أجابه (أدهم) بنفس صرامته :

ـ يبدو أنك ستضطر لتعلمها بأقصى سرعة ممكنة يا صديقى .

هتف (قدرى) مذعورًا :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟! ما الذى يعنيه ؟!

أجابه (أدهم) فى سرعة ، وهو ينطلق بالطائرة على ارتفاع منخفض ، داخل شق جبلى ضيق ، وعيناه تبحثان عن تلك البحيرة :

ـ هاتان الطائرتان ليستا آخر المطاف يا (قدرى) .. ستأتى بعدهما طائرات أخرى ، وأخرى ، ولم يعد بإمكاننا أن ننجو منها ..

غمغمت (جيهان) :

ـ الواقع أننا نجونا من طائرتى الهليوكوبتر السابقتين بمعجزة .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ والمعجزات لا تتكرَّر كثيرًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى لمح انعكاسًا لضوء القمر من بعيد ، فهتف :

ـ رباه ! ها هى ذى البحيرة .. استعدوا للقفز .

جحظت عينا (قدرى) ، وهو يهتف فى رعب :

ـ القفز ؟!

حلّت (جيهان) حزام مقعده ، ثم انتزعته منه بحركة سريعة ، ودفعته نحو باب الطائرة المفتوح ، وهى تقول ساخرة :

ـ نعم .. القفز يا عزيزى (قدرى) .. لقد بدأت دروس السباحة .

صرخ فى رعب :

ـ لا .. لا يمكننى هذا .. سأغرق حتمًا ثم .. ثم إن الحقيبة وكل ما فيها هنا ، و ...

قاطعه (أدهم) ، وهو يهتف بالبرتغالية :

ـ (بترو) .. الحقيبة الكبيرة .

اختطف (بترو) الحقيبة الكبيرة فى سرعة ، والطائرة تنخفض أكثر وأكثر ، وتنقضّ على البحيرة الصغيرة ، و (أدهم) يقول بلهجة صارمة آمرة :

ـ استعدوا للقفز جميعًا .

لكزت (جيهان) (قدرى) ، قائلة فى سخرية :

ـ هيا أيها التلميذ النجيب .. استعد للدرس الأوّل فى فن السباحة .

أما (منى) ، فقد تطلّعت إلى (أدهم) فى صمت ، وجسدها كله يرتجف انفعالاً ، وسمعته يهتف ، وهو يحلّق بالطائرة ، فوق البحيرة مباشرة :

ـ الآن .

صرخ (قدرى) :

ـ لا .. سأغرق حتمًا .

ولكن (جيهان) دفعته فى قوة ، وهى تهتف بالبرتغالية :

ـ (بترو) .. إنه فى رعايتك .

سقط (قدرى) من الطائرة ، وهو يطلق صرخة رعب رهيبة ، ولكن (بترو) قفز خلفه مباشرة ، فى حين التفتت (جيهان) إلى (منى) ، قائلة :

ـ هيا يا (منى) .

دفعتها (منى) فجأة فى قوة ، وهى تقول فى حزم :

ـ بعدك يا عزيزتى (جيهان) .

فقدت (جيهان) توازنها ، وهوت من الطائرة ، لترتطم بمياه البحيرة الباردة ، وتغوص فيها لمتر أو يزيد ، قبل أن تصعد إلى السطح ، وتهتف فى حنق :

ـ لن أغفر هذا لك يا (منى) .. أيتها الـ ...

بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدق فى الطائرة ، التى عادت ترتفع مبتعدة ، وقد تواصل ذيل الدخان الذى تجره خلفها ، وأضيفت إليه بعض ألسنة اللهب ، وهتفت :

ـ ألم يقفز (أدهم) ؟!

وانخفضت عيناها تمسحان البحيرة ، فى ضوء القمر ، ولكن بصرها لم يقع سوى على (قدرى) ، الذى أخرجه (بترو) إلى السطح ، وهو يهتف فى ارتياع :

ـ سأغرق .. إننى أجهل السباحة .. سأغرق .

وفى غضب ، أعادت بصرها إلى الطائرة ، صارخة :

ـ لقد خدعتنى يا (منى) .. هذا ليس عدلاً .. ليس عدلاً .

فى نفس اللحظة ، التى أطلقت فيها هذه الصرخة ، كان (أدهم) يهتف بـ (منى) ، داخل الطائرة :

ـ لماذا لم تقفزى معهم ؟!

اقتربت منه ، ووضعت كفها على كتفه فى حنان ، وهى تقول فى حب :

ـ عندما لم تحلّ حزام مقعدك ، أدركت أنك لن تقفز معنا .

قال فى توتر :

ـ هذا أمر طبيعى .. لابد وأن تنفجر الطائرة فى مكان بعيد عن منطقة الهبوط ، حتى لا يحيط بنا الجنود ، فور خروجنا من البحيرة .

ابتسمت قائلة :

ـ أعلم هذا .

ثم مالت تهمس فى أذنه :

ـ ولكنها فرصة نادرة لنعمل معًا وحدنا .. كالأيام السابقة .

ارتجفت شفتاه لحظة ، ثم لم يلبث أن أدار يده ، ليلتقط كفها من فوق كتفه ، ويحيطها بأصابعه ، ثم يضغطها فى رفق وحنان ..

ولكن القدر لم يسمح لتلك اللحظة الرومانسية الرائعة بالاستمرار ..

فمع ارتفاع الطائرة ، ووقوعها فى دائرة الرؤية ، رصدتها إحدى طائرات الهليوكوبتر الحربية ، ضمن فريق البحث ، فانطلقت نحوها على الفور ، وهتف قائدها ، عَبْر جهاز اللاسلكى :

- تم العثور على الهدف .. إنه أمامى مباشرة .. سأتعامل معه على الفور .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط زرًا فى عصا القيادة ، فانطلق من الهليوكوبتر صاروخ رفيع ، انقضّ مباشرة على الطائرة (يو - آر - ٣٣) ، و ..

ودوى الانفجار فى سماء (بوليفيا) ..

وبمنتهى القوة .

* * *

انتفض جسد (جيهان) فى قوة ، مع دوى الانفجار ، ووجدت نفسها تهتف بلا وعى :

- يا إلهى ! (أدهم) .

كان (قدرى) يضرب الماء بذراعيه فى عنف ، من شدة ذعره ، ولكنه لم يكد يسمع هتافها حتى توقّف ، وقال فى ارتياع :

- (أدهم) ؟!

كانت السماء تتوهّج كلها بنيران الانفجار ، كما لو

أن الشمس قد أشرقت قبل موعدها بساعة كاملة ، فعضت (جيهان) شفتها السفلى فى مرارة ، ثم راحت تسبح فى قوة ، نحو شاطئ البحيرة الصغيرة ، فى حين استسلم (قدرى) لـ (بترو) تمامًا ، وترك جسده يطفو على سطح الماء ، وهو يسبل جفنيه ، ويترك لدموعه العنان ، كأنما لم يعد يعنيه حتى أن يحيا ، بعد أن فقد صديق عمره الوحيد ..

ولنصف دقيقة تقريبًا ، لم يتبادل أحدهم كلمة واحدة مع الآخر ، حتى بلغوا الشاطئ ، فجلس (قدرى) عنده يبكى فى صمت ، فى حين قالت (جيهان) فى غضب :

- لو أن هؤلاء الأوغاد قد قتلوا (أدهم) ، فأقسم أن يدفعوا الثمن غاليًا .

سألها (بترو) فى اهتمام :

- ما الذى يقلقك يا سنيورا ؟

التفتت إليه فى حدة ، قائلة بالبرتغالية :

- ما الذى يقلقنى ؟! قل لى يا رجل ، هل فقدت حاستى السمع والبصر ، أم أنك فاقد العقل منذ البداية ؟! ألم تر ما حدث ؟! لقد نسفوا الطائرة .

قال فى سرعة وثقة :
ـ ولكنهم لم يظفروا بـ (أومو بيليجروسو) بعد .
احتقن وجهها ، وهى تصيح فى غضب :
ـ قلت لك : إنهم قد نسفوا الطائرة .
هزَّ كتفيه فى هدوء ، مجيبًا :
ـ بلا شك .. لقد نسفوا الطائرة ... كلنا رأينا وسمعنا وفهمنا هذا ، ولكن الظفر بـ (أومو بيليجروسو) أمر مختلف .. إنه مثل الزئبق .. عندما تتصوَّرين أنك قد أطبقت أصابعك عليه ، يفاجئك بالسخرية منك ، وهو يحيط عنقك بذراعيه ، ويكاد ينتزع عينيك من وجهك .
ثم مال نحوها ، متابعًا فى ثقة بالغة :
ـ صدقينى يا سنيورا .. الظفر بـ (أومو بيليجروسو) ليس سهلاً .. ليس كذلك أبدًا ..
قالها ، وتراجع معتدلاً فى حزم ، فتطلَّعت هى إليه لحظة فى صمت ، وخُيِّل إليها أن صورة القمر قد انعكست على وجهه الأسمر وعينيه الكبيرتين ، فتألَّقتا على نحو عجيب ، اقشعرَّ له بدنها كله ، قبل أن تلتفت إلى (قدرى) ، قائلة فى حزم :

ـ انهض يا (قدرى) ، وكفَّ عن البكاء .. (أدهم) لم يمت بعد .
توقَّف (قدرى) عن البكاء بغتة ، والتفت إليها ، يسألها فى لهفة :
ـ وكيف عرفت ؟!
شدَّت قامتها ، قائلة فى لهجة صارمة :
ـ لقد أنبأنى .
اعتدل يسألها فى دهشة :
ـ من تقصدين ؟!
أشارت إلى صدرها ، قائلة فى ثقة :
ـ قلبى .
قالتها ، واستدارت فى حزم ، وانتزعت مسدسها من حزامها ، مستطردة :
ـ هيا بنا .. لابد أن نبحث عن مكان آمن للاختباء ، يمكننا أن نطلَّ منه على البحيرة ، حتى نرى (أدهم) ، عندما يعود .. هيا .
حدَّق (قدرى) فيها بدهشة ، وانفرجت شفتاه ليقول شيئًا ما ، ولكن (بترو) هتف فجأة فى توتر :
ـ سنيورا .

استدار إليه (قدرى) و (جيهان) معًا ، ووقع بصرهما على بقعة الضوء ، التى ظهرت عند المنحنى الجبلى القريب ، وراحت تتحرك فى سرعة ، ثم تبعها هدير محرك عدد من سيارات (الجيب) العسكرية ..

وهتفت (جيهان) :

- رباه ! إنهم فى طريقهم إلى هنا .

ثم انطلقت تعدو نحو صخرة كبيرة ، صائحة :

- أسرعوا .. أسرعوا .

حمل (بترو) الحقيبة ، وانطلق يعدو خلفها ، ولهث (قدرى) فى شدة ، من فرط الانفعال والجهد ، وهو يدفع جسده إلى الأمام فى صعوبة ، مرددًا :

- يا إلهى ! يا إلهى !

كانوا يعدون بكل قوتهم ، نحو تلك الصخرة البعيدة ، ولكن سيارات (الجيب) العسكرية الثلاث ظهرت عند المنحنى ، وسطع ضوؤها يغمر المنطقة كلها ..

ويغمر أجساد ثلاثتهم أيضًا ..

وفى صرامة ، وبلهجة حازمة آمرة ، هتف قائد فريق المطاردة ، وهو يشير إليهم :

- ها هم أولاء .. لا تسمحوا لهم بالفرار ..

وثبت (جيهان) فى رشاقة نحو الصخرة ، ودارت حول نفسها فى مرونة ، قبل أن تختفى خلفها ، واندفع (بترو) بكل قوته ، محاولاً اللحاق بها ..

ولكن (قدرى) لم ينجح فى هذا ..

لقد سمع دوى الرصاصات من خلفه ، وشعر بها ترتطم بالأرض من حوله ، فطار صوابه من فرط الذعر ، واختلّ توازنه ، وسقط على وجهه أرضًا ، وهو يصرخ :

- لا .. لا .. إننى أستسلم .

سمعت (جيهان) صرخته ، فبرزت من خلف الصخرة ، وأطلقت النار نحو السيارات (الجيب) الثلاثة ، وهى تهتف :

- لا .. لا تستسلم يا (قدرى) .. أسرع إلى هنا .. سأحمى ظهرك .

أصابت رصاصاتها مصباح إحدى سيارات الجيب الثلاثة ، وأطاحت بجنديين ، سقطا من السيارة ، وتدحرجا فى عنف ، ولكن وابلاً من النيران انهال عليها ، من عشرة مدافع آلية ، انطلقت كلها فى آن واحد ..

وأخفى (قدرى) رأسه بذراعيه ، وهو يصرخ فى ارتياع ، مع دوى الرصاصات ، الذى غمر المنطقة كلها ، حتى إن جندى الإشارة ، فى إحدى السيارات الثلاث ، اضطر إلى رفع صوته عن آخره ، وهو يهتف :

- لقد عثرنا على الدخلاء .. نريد إمدادات على الفور ، عند الشاطئ الشمالى للبحيرة .

قفز الجنود من سياراتهم ، واندفعوا نحو الصخرة الكبيرة ، ونيرانهم تنطلق نحوها فى غزارة مخيفة ، وانقض اثنان منهم على (قدرى) ، وأدارا ذراعيه خلف ظهره ، وهما يغرسان فوهتى مدفعيهما فى جانبيه ، فصرخ مذعورًا :

- إننى أستسلم .. إننى أستسلم .

أطلقت (جيهان) رصاصاتها مرة أخرى ، وأصابت جنديًا ثالثًا ، ولكن ذخيرتها نفدت عند هذا الحد ، فهتفت فى سخط :

- اللعنة !

أدرك (بترو) ما يحدث ، فخرج من خلف الصخرة ، وهو يحمى جسده بالحقيبة الكبيرة ، واندفع بجسده الضخم ، يطيح بالجنود أمامه ، صارخًا :

- اهربى يا سنيورا .. اهربى .

انطلقت رصاصات الجنود نحوه ، واخترقت الحقيبة ، التى تحوى كل أدوات التزييف والتنكر ، ولكنها لم تنجح فى إيقاف (بترو) ، فصاح قائد الجنود :

- أطلقوا النار على ساقيه .

فهم (بترو) العبارة ، فصرخ بعنف :

- اهربى يا سنيورا ، قبل فوات الأوان .

ومع آخر حروف صرختـه ، اخترقت إحدى الرصاصات فخذه ، فصرخ فى ألم ، وانطلقت منه زمجرة مخيفة ، ولكن الجنود انقضوا عليه ، وراحوا يضربونه بكعوب مدافعهم الآلية فى عنف ، ولكن قائدهم صاح بهم :

- اتركوا هذا الزنجى لثلاثة منكم فحسب ، والحقوا بتلك المرأة ، قبل أن تنجح فى الفرار .

كانت (جيهان) تتسلق صخرة أخرى ، ثم تثب خلفها ، وراحت تعدو بأقصى سرعتها ، وهى تهتف :

- يا إلهى ! لقد فشل كل شىء .. كل شىء ..

برز اثنان من الجنود أمامها فجأة ، وصوبا إليها فوهتى مدفعيهما الآليين ، وأحدهما يصيح فيها فى صرامة :

- توقفى أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، كانت تثب فى الهواء ، فى خفة ورشاقة ، ثم تدور حول نفسها كمروحة أفقية ، لتركل المدفع الآلى من يد أحدهما ، ثم تهبط على قدميها ، وتنحنى متفادية رصاصات مدفع الجندى الآخر ، قبل أن تضرب ساقيه بقدمها ، وتسقطه أرضًا ، وهى تهتف :

- لن تظفر بى فى سهولة أيها الوغد .

سقط الجندى على ظهره فى عنف ، فوثبت تنقضّ عليه فى خفة ، وهوت على فكه بلكمة كالقنبلة ، مستطردة :

- إننى صعبة المنال بحق .

ارتطم رأس الجندى بالأرض الصخرية فى عنف ، وفقد وعيه على الفور ، فالتقطت هى مدفعه الآلى فى سرعة ، هاتفة :

- وسيدرك رفاقك هذا الآن .

لمحت ظلاً يمتدّ إلى جوارها ، فالتفتت إلى صاحبه فى سرعة ، و ...

ولكن فجأة ، هوى كعب مدفع آلى على رأسها بمنتهى القوة ..

وانطلقت رصاصات مدفعها الآلى فى الهواء ، واصطبغت الدنيا كلها أمامها بلون أحمر قان ، يشبه لون الدم ، الذى تفجّر من موضع الإصابة ، ولوّث شعرها الأشقر الجميل ، قبل أن تسقط فاقدة الوعى ..

وفى حزم ، اقترب منها قائد الجنود ، ودفعها بقدمه فى غلظة ؛ ليتأكد من فقدانها الوعى ، ثم انتزع جهاز الاتصال اللاسلكى من حزامه ، وقال فى صرامة :

- من الفرقة الثالثة إلى القيادة .. الأمر كله تحت السيطرة .. لقد انتهى أمر الدخلاء .. انتهى تمامًا .

وأعاد جهاز اللاسلكى إلى حزامه ، وهو يلقى نظرة أخرى على (جيهان) ، التى راحت الدماء الحمراء تنتشر فوق شعرها الأشقر ..

وتنتشر ..

وتنتشر ..

* * *

٤ - الأسرى ..

أضيئت المصابيح الصغيرة ، فى جناحى الطائرة الخاصة ، التى يستقلّها رجل المخابرات الأمريكى (جون ماكلوسكى) وفريقه ، إيذانًا باستعدادها للهبوط ، فى مطار (سوكريه) ، فعقد الرجل حزام مقعده ، وقال لفريقه الصغير فى صرامة :

- من المؤكد أن وصولنا إلى (سوكريه) ، فى هذه الساعة المبكرة ، سيثير الكثير من التساؤلات ، لدى ضباط الجوازات والجمارك ، وهذا يعنى أنه سيكون هناك تفتيش صارم ودقيق ؛ للتأكد من أننا لانحمل أية ممنوعات ، ولا نحاول تهريب أى شىء إلى بلادهم .. لا تجعلوا هذا يقلقكم .. كل شىء تم تدبيره وإعداده بمنتهى الدقة ، وسنحصل على كل ما نحتاج إليه من (سوكريه) نفسها .. مكتبنا هنا دبَّر الأمر كله ، وسينتظرنا أحد رجاله خارج المطار .

مطّ (ماسياس) ، رجل القوات الخاصة الضخم الجثة شفتيه ، وهو يغمغم ، فى شىء من السخط :

- هذا يبدو أقرب إلى الرحلات السياحية .

أجابه (ماكلوسكى) فى صرامة :

- هذا لو أنك تتعامل دائمًا مع شركة (الجحيم للسياحة) ؛ فالمهمة التى نحن بصددها ليست بسيطة أو هيّنة أبدًا أيها السادة .. بل إنكم تواجهون بحق ، أصعب وأعقد ، وأخطر مهمة ، فى حياتكم كلها ، وإلا لما جمعت ثلاثتكم معًا ، وصنعت منكم فريقًا خاصًا ، أتولّى قيادته بنفسى .. انظروا إلى أنفسكم جيدًا .. (ماسياس) ، رجل القوات الخاصة المتميّز ، الذى اكتظ ملفه بشهادات التقدير ، وتقارير الامتياز ، و(سيرينا) ، خبيرة قتال الجبال ، التى لا يشقّ لها غبار .

ابتسمت فتاة شقراء بارزة العضلات ، وقالت فى صوت أجش ، أقرب إلى أصوات الرجال منه إلى أصوات النساء :

- يسعدنى قولك هذا .

تابع (ماكلوسكى) ، وكأنه لم يسمعها :

- وأخيرًا (باكنباه) ، أشهر خبراء التفجير والمفرقعات ، فى الجيش الأمريكى كله ، والذى يصرّ

على ارتداء ذلك المنظار الداكن السخيف طوال الوقت ، ليضفى على مظهره مهابة زائفة ، أو ليخفى عينه الصناعية ، التى تفسد وسامته .

انعقد حاجبا (باكنباه) ، وعدَّل منظاره الداكن فوق أنفه ، قائلاً فى حدة :

ـ وما شأن هذا بمهمتنا .

لوَّح (ماكلوسكى) بكفه ، قائلا :

ـ ليس له أدنى شأن ، ولكنها عبارة اعتراضية ، لم أستطع منع نفسى من قولها .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى صرامة :

ـ ولكن كل هذا لا قيمة له .. المهم أننا سنهبط بعد دقيقة واحدة ، فى مطار (سوكريه) ، وسنبدأ عملنا على الفور ، فاستنفروا نشاطكم وقدراتكم ، واستعدوا .

قالت (سيرينا) فى سخرية :

ـ نستعد لماذا ؟! إننا نجهل حتى أين تلك السنيورا ، وأين تعد مشروعها النووى هذا .

أجابها فى صرامة :

ـ رجالنا فى (بوليفيا) يبذلون قصارى جهدهم ، للتوصل إليه الآن .

هزَّت كتفيها ، قائلة :

ـ أتعشَم أن يفلحوا .

قال فى صرامة أكثر :

ـ لا بديل لهذا .

قالت ساخرة :

ـ لمجرَّد أن هذا ما نتمنَّاه ؟!

قال فى حدة :

ـ كلاَّ يا (سيرينا) ، ولكن لأن كل دقيقة تمضى ، تعنى أن تلك الأفعى قد اقتربت أكثر وأكثر من النجاح ، وأنها فى سبيلها إلى السيطرة على العالم .. العالم الذى نعيش فيه جميعًا .. هل يمكنك فهم هذا ؟!

رمقته بنظرة باردة ، قبل أن تشيح بوجهها ، قائلة :

ـ إلى حد ما .

لم يتبادل أحدهم كلمة واحدة مع غيره بعد كلمتها هذه ، حتى هبطت الطائرة الخاصة فى مطار (سوكريه) بالفعل ..

وفى المطار ، تأكَّد الثلاثة أن قائدهم جمّ الخبرة ، بعيد النظر بالفعل ..

لقد تم تفتيش حقائبهم بمنتهى الدقة ، واستجوبهم

رجال الجوازات باهتمام وشك واضحين ، وتوقفوا طويلاً عند (سيرينا) ، التى لم يرق لهم شكل عضلاتها البارزة ، التى لم يروا مثلها من قبل قط ..

وأخيرًا ، وبعد ساعة كاملة ، غادر الثلاثة المطار ، وهتف (ماسياس) فى حنق :

ـ يا لها من دولة ! لقد تعاملوا معنا كما لو كنا مجرّد طغمة من الأوغاد .

زمجر (ماكلوسكى) ، قائلا :

ـ لا مجال للشكوى .. لقد كنا نتوقّع هذا .

قالت (سيرينا) مستنكرة :

ـ على هذه الصورة ؟!

عقد (ماكلوسكى) حاجبيه ، دون أن يجيب ، وتلفّت حوله فى اهتمام ، بحثًا عن المندوب ، الذى سيلتقى بهم ، ثم لم يلبث أن ابتسم ابتسامة باهتة ، وغمغم :

ـ ها هو ذا .

قالها ، وهو يلتفت إلى رجل نحيل ، طويل الأنف ، تقدّم نحوهم فى خطوات سريعة واسعة ، وصافح (ماكلوسكى) ، قائلا :

ـ مرحبًا .. لقد استغرقتم وقتًا طويلاً فى الدائرة الجمركية .

قالت (سيرينا) ساخرة :

ـ هل لاحظت هذا ؟

غمغم (باكنباه) ، وهو يعدّل منظاره الداكن فوق أنفه :

ـ من الواضح أنه قوى الملاحظة .

لم ترق سخريتها للرجل ، الذى عقد حاجبيه فى ضيق ، وتجاهلها تمامًا ، وهو يقول لزميله (ماكلوسكى) :

ـ كل شىء معدّ جيدًا .. لقد أحضرت الأسلحة المطلوبة ، وسيارتى الجيب ، والملابس التى تناسب الجبال ، وأجهزة اللاسلكى ، والرادار .

سأله (ماكلوسكى) ، وهم يسيرون نحو موقف السيارات :

ـ هل توصّلتم إلى موقع السنيورا ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ ليس بعد ، ولكن لدى خبر هام .

سأله (ماكلوسكى) ، وهم يدلفون إلى سيّارته الكبيرة :

ـ ما هو ؟!

أدار الرجل محرك السيارة ، وهو يلتقط صورة كبيرة ويقدمها له ، قائلا :

ـ إنهم يوزعونها على كل رجل أمن هنا .

انعقد حاجبا (ماكلوسكى) فى شدة ، وهو يتطلع إلى صورة (أدهم) ، المنسوخة بآلة تصوير مستندات تقليدية ، وغمغم :

ـ يا إلهى !

سألته (ماسياس) فى اهتمام ، وهو يتطلع إلى الصورة :

ـ من هذا الرجل ؟

ورفعت (سيرينا) أحد حاجبيها ، قائلة :

ـ إنه يشبه نجوم السينما .

أما (باكنباه) ، فقد هزّ رأسه ، قائلاً :

ـ يخيّل إلىّ أننى قد رأيت هذا الرجل من قبل .

أشار (ماكلوسكى) إلى الصورة ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا الرجل هو (أدهم صبرى) .. أخطر رجل مخابرات فى العالم أجمع .

ابتسمت (سيرينا) قائلة :

ـ وأكثرهم وسامة .. أليس كذلك ؟!

مطّ (ماسياس) شفتيه فى ازدراء ، قائلاً :

ـ يا للنساء !

وقال (باكنباه) فى لا مبالاة :

ـ لم أسمع به فى حياتى قط .

تجاهلهم (ماكلوسكى) تمامًا ، وهو يسأل الرجل فى اهتمام بالغ :

ـ هل علمتم لماذا يوزعون صورته ؟!

أجابه الرجل ، وهو ينطلق بالسيارة ، فى شوارع المدينة :

ـ المحافظ طلب من رئيس الشرطة توزيع صورته ، وأخبره أنه إرهابى خطير ، وأنه فى طريقه إلى هنا ، وكل رجل شرطة ينتظره فى تحفز .

سألته (سيرينا) فى سخرية :

ـ لست أدرى لماذا يثير هذا الرجل اهتمامكم إلى هذا الحد ؟!

أشار (ماكلوسكى) إلى صورة (أدهم) مرة أخرى ، وهو يقول فى صرامة :

- وجود هذا الرجل ، أو حتى تخوّفهم من قدومه إلى هنا ، هو أقوى دليل على أننا نسير فى الاتجاه الصحيح .

سأله (ماسياس) فى اهتمام :

- هل يعمل لحساب السنيورا ؟!

أجابه فى سرعة وحزم :

- بل هو الرجل الوحيد ، فى العالم أجمع ، الذى يمكنه مواجهتها .

هتف (باكنباه) معترضًا :

- وماذا عنا ؟!

اعتدل (ماكلوسكى) ، وهو يقول صارمًا :

- لو أردنا أن نثبت أننا الأفضل ، فلا بد أن نعمل بأقصى سرعة وأفضل وسيلة ممكنة ، حتى نظفر بها قبله .

وبرقت عيناه فى شدة ، وهو يضمّ قبضته ، ويلوّح بها فى فراغ السيارة ، مستطردًا بلهجة أدهشتهم جميعًا :

- هذه هى الوسيلة الوحيدة ، التى نثبت بها أننا أفضل من (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

تطلّعوا إليه جميعًا فى دهشة ، ولاحظوا أن بريق عينيه يتزايد .

ويتزايد ..

ويتزايد ..

بلا حدود ..

★ ★ ★

لم يكد (أدهم) يلمح تلك الهليوكوبتر الحربية ، التى برزت فى الأفق ، حتى حلّ حزام مقعده ، وهبّ منه ، ليختطف يد (منى) ، ويجذبها معه نحو باب الطائرة المفتوح ، هاتفًا :

- الآن ..

وثبا معًا إلى الأمام ، فى توافق مدهش ، وقفزا عبْر باب الطائرة ، وتركا جسديهما يهويان فى الفضاء ، فى نفس اللحظة التى أطلق فيها قائد الهليوكوبتر صاروخه ، و ...

ودوى الانفجار قويًّا عنيفًا ، فى سماء (بوليفيا) ..

ولكن (منى) لم تبال به ..

إطلاقًا ..

فعلى الرغم من دقّة الموقف وصعوبته ، كانت



وثبا معًا إلى الأمام ، فى توافق مدهش ، وقفزا عبْر باب الطائرة ، وتركا جسديهما يهويان فى الفضاء ..

تشعر كأنها تعيش أسعد لحظات حياتها على الإطلاق ، وهى تسبح فى الهواء مع (أدهم) ، ويدها الرقيقة بين أصابعه القوية ، التى تمسك بها فى حرص ، وعلى نحو يبعث الدفء فى عروقها ..

والعجيب أنها لم تعد تشعر أنهما يواجهان ذلك الخطر الرهيب ..

بل شعرت وكأنهما يحلقان معًا فى سماء الحب ، ويهيمان بها كطائرين سعيدين ، لا ينغص حياتهما صياد ماهر ، يتربص لهما ببندقيته القوية ..

يكفيهما أنهما عادا يعملان جنبًا إلى جنب ..

وعادا يواجهان الخطر معًا ..

يكفيها أنهما وحدهما ..

دون (قدرى) ..

أو (بترو) ..

أو ... (جيهان) ..

« المظلة » ..

انتزعها (أدهم) من هيامها بهذه الصيحة ، واستطرد فى حزم :

ـ إننا نقترب من الأرض .

أسرعت تجذب حبل مظلتها ، التى انتزعتها منه فى عنف ، خاصة أنه لم يبادر بفتح مظلته ، إلا بعد أن اطمأن إلى أنها بخير ..

وفى نعومة ، هبطت بهما المظلتان فى مكان ما بين الجبال ..

وبينما كانت تلملم مظلتها ، سألته فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أنهم قد رأونا ؟!

أجابها فى حزم :

ـ لن يصنع هذا فارقًا ، فهم سيمشطون المنطقة كلها على أية حال .

سألته فى قلق :

ـ وماذا عن ..

قبل أن تتمّ سؤالها ، بلغ مسامعهما دوى رصاصات بعيدة ، فهتفت :

ـ يا إلهى ! (قدرى) و (جيهان) .

انطلق (أدهم) يعدو نحو مصدر الصوت ، هاتفًا :

ـ هيا بنا .

لم يكن التحرك وسط تلك الدروب الجبلية سهلاً أو يسيرًا ، ولكنهما راحا يتسلقان الصخور ، أو يقفزان

عَبْرها ، ويدوران حولها ، مسترشدين بدوى الرصاصات ، الذى لم يلبث أن توقّف ، فقال (أدهم) فى قلق :

ـ يا إلهى ! تُرى لماذا توقّف القتال ؟!

غمغمت (منى) :

ـ أخشى أن ..

لم تستطع إكمال عبارتها ، ولم يرق لـه أن تفعل ، فلاذ بالصمت بدوره ، وهما يواصلان انطلاقهما نحو البحيرة ، وما إن بدت لهما ، حتى انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

ـ يا إلهى ! لقد ...

لم يكمل عبارته بدوره ، وهو يتطلّع إلى المكان الخالى ، الذى تشفّ كل لمحة منه على وقوع قتال عنيف فيه ، ولحقت به (منى) ، لتهتف مذعورة :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابها (أدهم) فى توتر :

ـ لقد دار قتال هنا ، وبعضهم أصيب ، فهناك بقع دماء فى عدة أماكن ، وعديد من مظاريف الطلقات الفارغة .

سألته فى توتر أكثر عنفًا :

ـ هل تعتقد أنهم قد ...

وتجمَّد لسانها لحظة ، قبل أن تتابع فى عصبية :

ـ قتلوهم ؟!

صمت (أدهم) بضع لحظات ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، قائلاً فى حزم :

ـ لست أدرى .

قالها ، وتقدَّم إلى منطقة القتال ، وراح يفحص أرضيتها فى اهتمام بالغ ، قبل أن يعتدل ، قائلاً فى حزم :

ـ كلاَّ .. إنهم لم يقتلوهم .. لقد أسروهم .

سألته فى دهشة :

ـ وكيف عرفت ؟!

أشار إلى الآثار التى تملأ المكان ، قائلاً :

ـ انظرى .. هذا الموقع المضطرب هناك .. لقد سقط فيه جسم ثقيل ، وهاجمه رجلان يرتديان أحذية ثقيلة ، ثم قاداه أمامهما إلى سيارة جيب ، وصاحب هذا الجسد هو (قدرى) على الأرجح ، لأنه من الواضح أنه لم يقاتل أو يقاوم ، أما آثار الأقدام الثقيلة

هذه ، فهى لـ (بترو) ، ومن الواضح أنه قد قاتل فى استماتة ، ثم أصيب فى مكان ما ؛ لأن بقع الدم قد امتزجت بآثار أقدام هنا ، وبعدها تكالب عليه الجنود ، وحملوه معًا إلى نفس السيارة .

سألته فى اهتمام :

ـ وكيف علمت أنهم قد حملوه ولم يدفعوه أمامهم ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ لأن آثار أقدامهم صارت أكثر عمقًا ، بعد أن أضيف إليها وزن (بترو) .

ثم استدار يشير إلى نقطة أخرى ، مستطردًا :

ـ أما (جيهان) ، فقد قاومت بشدة ، واختفت هناك ، خلف تلك الصخرة الكبيرة .

وتحرَّك فى سرعة نحو الصخرة الكبيرة ، ثم قال فى توتر :

ـ عدد كبير من الجنود تبعها إلى هناك ، والمنطقة بعدئذ صخرية ، لن تنطبع عليها آثار الأقدام .

سألته فى عصبية :

ـ هل تشعر بالقلق من أجلها ؟!

أجابها فى سرعة :

- بالتأكيد .

ثم انعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

- أليست زميلتى ؟

أجابته فى حدة :

- بالطبع .. إنها زميلتك ، التى اعتدت العمل معها ، حتى إنك كنت تسند إليها العمل طوال الوقت ، وكأنه لم يعد لى أدنى وجود ، فى حياتك كلها .

التفت إليها فى بطء ، ورمقها بنظرة طويلة ، ثم تحرك عائدًا إلى موقع القتال ، وهو يقول فى صرامة :

- سنناقش هذا فيما بعد .

لحقت به ، وهى تسأله فى عصبية :

- ولِمَ لا نناقشه الآن ؟!

أجابها فى صرامة أكثر :

- لأن الوقت لا يناسب هذا .. لقد أسر البوليفيون زملاءنا ، وينبغى علينا أن نبذل قصارى جهدنا لتحريرهم أولاً ، ثم نناقش هذه الأمور السخيفة فيما بعد .

تراجعت كالمصدومة ، وهى تقول :

- أمور سخيفة ؟!

أشار إليها فجأة بالصمت ، وهو يضع سبابته على فمه ، فأطبقت شفتيها بحركة آلية ، واقتربت منه ، هامسة :

- ماذا هناك ؟!

أجاب ، وهو يجذبها نحو الصخرة الكبيرة :

- هناك هليوكوبتر أخرى تقترب .

اختبأت معه خلف الصخرة ، وهى تتطلع إلى السماء فى حيرة ، وترهف أذنيها ، فى محاولة لالتقاط أزيز الهليوكوبتر ، و ...

وفجأة ، برزت الهليوكوبتر ، المزوَّدة بكاتم للصوت ، من خلف الجبل ، وراحت تحوم حول البحيرة ، ومصباح ضخم فى أسفلها يضىء المكان كله ، فسألته هامسة فى دهشة :

- كيف عرفت بأمرها ؟! إننى لم أسمع شيئًا !

أجابها فى حزم ، وهو يتابع الهليوكوبتر ببصره فى اهتمام :

- أنا أيضًا لم أسمع شيئًا ، فمن الواضح أنها مزوَّدة بكاتم صوت مطاطى ، من أحدث الطرز المعروفة .. إننى أسمع حركة دوران مروحتها بصعوبة .

تطلّعت إليه فى دهشة ، فتابع بسرعة :

- لقد رأيت ضوءها وعلمت أنها تتجه نحونا .. لقد انعكس الضوء عن الصخور ، وأضاء السماء .

غمغمت :

- آه .. فهمت .

ثم سألته فى اهتمام :

- هل سنختبئ منها طوال الوقت ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- كلاّ .. لدى خطط أخرى بشأنها ..

سألته فى اهتمام :

- وما هى ؟!

تطلّع إلى الهليوكوبتر لحظة فى صمت ، قبل أن يقول فى حزم :

- سأخبرك .

وبينما أخذ يشرح خطته ، كان قائد الهليوكوبتر يدور بها حول البحيرة ، وهو يقول ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

- كل شىء يبدو هادئًا هنا ، بعد إلقاء القبض على الجواسيس الثلاثة .. لم يعد أحد إلى البحيرة ، بعد

سقوط تلك الطائرة .. سأدور حول المكان مرة أخرى ، ثم أعود إلى القاعدة .

أغلق جهاز الاتصال ، ودار حول البحيرة مرة أخرى ، ثم استعدّ للعودة ، و ...

وفجأة ، لمح (منى) ..

كانت تخرج من خلف الصخرة الضخمة ، وتنطلق نحوه ، ملوّحة بيدها ، وهى تهتف بكلمات لم يفهمها ، فقال فى دهشة وعصبية :

- ما هذا بالضبط ؟!

وبحركة تلقائية ، دفع غطاء زر إطلاق النار ، فى أعلى عصا القيادة ، بإبهامه ، ثم ترك الإبهام يستقر فوقه فى تحفّز ، وهو يتجه نحو (منى) ، التى راحت تلوّح بيدها ، ثم تشير إلى نقطة بعيدة ، مما جعله يقول فى صرامة ، عبْر مكبّر الصوت ، المثبت فى قمة الهليوكوبتر :

- من أنت ؟! عرّفى نفسك ، قبل أن أطلق النار .

ولكن (منى) ظلّت تصرخ بكلمات غير مفهومة ، وتشير إلى أقصى اليمين فى انفعال واضح ، فاقترب منها أكثر ، والتفت يتطلّع إلى اليمين فى حذر ، وهو يقول :

- اللعنة ! ما الذى ...

قبل أن يتمّ عبارته ، اتسعت عيناه فى ذهول تام ، وهو يحدّق فى صورة مدهشة ، عكسها ضوء القمر على الزجاج المجاور له تمامًا ..

صورة (أدهم) ، وهو يثب وثبة خرافية ، من فوق مرتفع صخرى ملاصق ..

نحو الهليوكوبتر مباشرة ..

من الجانب الأيسر ..

وقبل أن تزول دهشة الطيّار ..

بل ، قبل حتى أن يستوعب تمامًا ما يحدث ، كان (أدهم) قد تعلّق بالهليوكوبتر بالفعل ، فاختلّ توازنها بغتة ، مع الثقل المفاجئ ، ومالت نحو المرتفع الصخرى ..

ثم اندفعت نحوه بسرعة مخيفة ..

وشهقت (منى) ، هاتفة :

- يا إلهى ! (أدهم) ..

ولكن الطيّار البارع سيطر على عصا القيادة فى سرعة ، ومال بالهليوكوبتر فى الاتجاه المضاد ، ليتفادى اصطدام مروحتها بالمرتفع الصخرى ، وهو ينتزع مسدسه من غمده ، قائلاً فى حنق :



كان (أدهم) قد تعلّق بالهليوكوبتر بالفعل ، فاختلّ توازنها بغتة ، مع الثقل المفاجئ ، ومالت نحو المرتفع الصخرى .

ـ يا إلهى ! كيف فعلها هذا الشيطان ؟!

كان من سوء حظه أن ذلك الطراز من طائرات الهليوكوبتر ، كان مخصصًا لعمليات الإبرار الجوى ، والتقاط الجنود من المواقع شديدة الخطورة ، أو من وسط حصار محكم ، مما أجبر مصمموه على منحه أبسط وسيلة ممكنة لفتح بابه ، من الداخل أو الخارج ، حتى لا يعجز أى جندى مبتدئ عن القفز داخل الهليوكوبتر ، بأسرع السبل ..

فما بالك برجل مثل (أدهم صبرى) ؟!

لقد دفع باب الهليوكوبتر جانبًا ، ووثب داخلها فى خفة مدهشة ، ثم قبض على معصم الطيَّار ، قبل أن ينتزع مسدسه من غمده ، وقال فى سخرية :

ـ احتفظ به فى غمده يا رجل ، فلن تجد فرصة لاستخدامه .

استدار إليه الطيَّار بحركة حادة ، وضمَّ قبضته فى شراسة ، هاتفًا :

ـ من قال هذا ؟!

هوى بقبضته على فك (أدهم) بكل قوته ، ولكن هذا الأخير تفادى اللكمة فى خفة مدهشة ، وأدار

ساعده حول عنق الطيَّار فى سرعة ، وهو يلوى ذراعه خلف ظهره ، مجيبًا فى صرامة :

ـ أنا أقول هذا يا رجل .

جحظت عينا الطيَّار فى رعب ، عندما راحت الهليوكوبتر تدور به فى المكان عشوائيًا ، و (أدهم) يتجاهل هذا تمامًا ، وصاح مذعورًا :

ـ ماذا تفعل أيها المجنون ؟! لقد فقدنا السيطرة على الهليوكوبتر ، وسترتطم بأى شىء هنا !

تجاهل (أدهم) عبارته تمامًا ، وهو يسأله :

ـ أين ذهب الأسرى ؟!

هتف الطيَّار ، وهو يحاول التقاط عصا القيادة بيده اليسرى :

ـ سنرتطم بالصخور ، وتنفجر الهليوكوبتر يا رجل .

صاح به (أدهم) ، فى صرامة مخيفة :

ـ أين ذهبوا بالأسرى ؟!

جحظت عينا الطيار مرة أخرى ، من فرط الألم والذعر معًا ، وكاد يبتلع لسانه ، وهو يهتف بصوت مختنق :

ـ إلى معسكر (دياز) .. معسكر الجنرال (دياز) .

سأله (أدهم) ، وهو يضغط عنقه فى قوة أكثر :

- وأين معسكر الجنرال (دياز) هذا ؟!

أجابه الطيّار ، بكل ألم الدنيا وذعرها :

- هناك .. على مسافة عشرة كيلومترات ، جنوب البحيرة .

سأله (أدهم) ، وهو يكاد ينتزع عنقه بذراعه القوية :

- ما كلمة السر الليلة ؟

أصدر الطيّار صوتًا عجيبًا ، وعيناه تحتقنان بالدم على نحو مخيف ، وهو يقول :

- لا .. لا يمكننى أن أخبرك .

صاح به (أدهم) ، وهو يلوى ذراعه خلف ظهره أكثر وأكثر :

- ما كلمة السر ؟!

جحظت عينا الطيّار عن آخرهما ، حتى كادتا تبرزان من محجريهما ، ولوّح بيده أمامه فى رعب شديد ، وهو يقول فى صوت مختنق للغاية ، حتى لتميّز كلماته بصعوبة :

- الصخور .. سنصطدم بالصخور .

رفع (أدهم) عينيه إلى الأمام فى سرعة ، ورأى الهليوكوبتر تتجه نحو الصخور مباشرة ، فأفلت معصم الطيّار ، ومدّ يده يلتقط عصا القيادة ، وأمالها فى خفة وسرعة ، فمالت الهليوكوبتر على نحو مخيف ، ودارت فى اتجاه اليسار ، وتفادت الاصطدام فى اللحظة الأخيرة ، وانطلقت نحو البحيرة ، وهى تستعيد توازنها مرة أخرى ، فاتسعت عينا الطيّار فى ذهول ، وغمغم :

- ربّاه ! إنك تقود الهليوكوبتر فى مهارة مذهلة .

ثم رفع يده ، محاولاً انتزاع مسدسه من غمده مرة أخرى ، هاتفًا :

- ولكن هذا لن يهزمنى .

لكمه (أدهم) خلف أذنه فى قوة ، وهو يقول ساخرًا :

- من الخطر أن تلهو بالألعاب النارية يا رجل .

شهق الطيّار فى ألم ، ودار رأسه فى عنف ، و(أدهم) يكرّر سؤاله :

- ما كلمة السر ؟! وما ذبذبة الاتصال بمعسكر الجنرال (دياز) ؟!

صاح الطيَّار فى ألم :

- (لونا) .. كلمة السر الليلة (لونا) .. وذبذبة الاتصال هى الموجة (٧٢.٨) ..

حلَّ (أدهم) حزام مقعده بحركة سريعة ، ثم انتزعه منه فى قوة ، وألقاه عبْر باب الهليوكوبتر ، هاتفًا :

- هذا كل ما أردت معرفته .

أطلق الطيَّار صرخة ذعر ، وهو يهوى من الهليوكوبتر ، حتى ارتطم بمياه البحيرة ، وغاص فيها لعدة أمتار ، قبل أن يبرز مرة أخرى على السطح ، هاتفًا :

- أيها الـ ...

لم يبلغ هتافه (أدهم) ، الذى انطلق بالهليوكوبتر ، عائدًا إلى شاطئ البحيرة ، وهبط بها إلى جوار (منى) ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- هل تبحث أميرتى عن وسيلة مواصلات سريعة ؟!

تهللت أساريرها ، واندفعت نحوه ، هاتفة :

- (أدهم) .. تصوَّرت لحظة أنك ..

قاطعها مبتسمًا :

- أننى ماذا ؟!

أطلقت ضحكة عذبة مرحة ، وهى تقفز داخل الهليوكوبتر ، قائلة :

- لا عليك .. تخيَّل أننى لم أقل شيئًا .

ارتفع بالهليوكوبتر على الفور ، وانطلق بها نحو الجنوب ، فسألته فى اهتمام :

- إلى أين سنذهب ؟!

أجابها فى حزم :

- لا بد أن نحرِّر أسرانا أولاً .

سألته فى قلق :

- وماذا عن الطيَّار ، الذى ألقيته فى البحيرة ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

- عندما يصل إلى شاطئ البحيرة ، ويقطع المسافة إلى أقرب نقطة اتصال ، نكون نحن قد أنهينا عملنا يا عزيزتى .

سألته فى حذر :

- وما هو عملنا بالضبط ؟!

ابتسم ، قائلاً :

- لقد أخبرتك يا عزيزتى .. سنستعيد أسرانا .

ثم التقط بوق اللاسلكى ، وأدار الجهاز إلى الموجة (٧٢.٨) ، قائلاً :

- من القيادة إلى معسكر الجنرال (دياز) .. أريد التحدث مع القائد شخصيًا .. أكرر القائد شخصيًا .

أتاه صوت ضابط اللاسلكى ، فى معسكر الجنرال (دياز) ، وهو يقول :

- عرّف نفسك بدقة .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- (برتو لوميو) .. من إدارة التفتيش العسكرى .. أريد التحدث إلى القائد شخصيًا ، وبمنتهى السرعة ..

لاحت أضواء المعسكر من بعيد ، فاتجه نحوها مباشرة ، ومضت لحظات من الصمت ، قبل أن يأتيه ، عبر جهاز الاتصال ، صوت جاف ، يقول :

- هنا الجنرال (دياز) .

أجابه (أدهم) ، وهو يقترب فى سرعة من المعسكر :

- هنا (برتو لوميو) ، من إدارة التفتيش العسكرى .. إننى قادم إليكم فى مهمة عاجلة وسرية للغاية ، وبرفقتى سكرتيرة عسكرية .. إننا فى ثياب مدنية ،

ونقود هليوكوبتر حربية ، سنهبط بها عند المعسكر تمامًا .. استعدوا لاستقبالنا .

مضت بضع لحظات من الصمت ، قبل أن يقول الجنرال (دياز) بصوته الجاف :

- لقد تم رصدكم بالفعل .. نريد كلمة سر الليل .

أجابه (أدهم) فى اقتضاب :

- (لونا) .

مضت لحظات أخرى من الصمت ، بدت أطول من سابقتها بكثير ، قبل أن يقول الجنرال (دياز) بلهجة صارمة ، زادت من جفاف صوته :

- نحن فى انتظاركم .

ابتسمت (منى) فى ارتياح ، وهى تقول :

- عظيم .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال :

- أتعشّم أن تمضى الأمور على النحو نفسه ، حتى النهاية .

لم يتبادلا كلمة واحدة بعدها ، حتى بدت تفاصيل المعسكر ، والهليوكوبتر تقترب منه أكثر وأكثر ، ولاح لهما أحد الجنود ، وهو يلوّح براية بيضاء ،

ليقودهما إلى مهبط الهليوكوبتر ، الذى بدا على شكل دائرة كبيرة ، فى منتصف المعسكر تمامًا ، وعلى مقربة منه ، وقف رجل ضخم الجثة ، هائل الحجم ، يرتدى ثياب جنرال ، وحوله مجموعة من الجنود ، يقف فى انتظار هبوط الهليوكوبتر ..

ولسبب ما ، لم تشعر (منى) بالارتياح ..

لا أحد يمكن أن يشرح سبب ما شعرت به ..

ولكنها غرقت فى بحر وهمى من القلق ، وهى تحدّق فى الجنرال (دياز) العملاق ، و (أدهم) يهبط بالهليوكوبتر ، فى منتصف المهبط تمامًا ..

وعندما وقع بصرها على وجه الجنرال ، تضاعف إحساسها بالقلق هذا مائة مرة ..

بل ألف مرة ..

أو حتى آلاف المرات ..

ابتسامته الواسعة ، لم تمنحها أدنى شعور بالارتياح ، حتى إن أصابعها قد انقبضت دون وعى منها ، وكأنها تتمنى أن تقفز من الهليوكوبتر ، وتندفع نحو الجنرال بأقصى سرعتها ، وتلكمه فى أنفه مباشرة ..

أو فى أسنانه الضخمة ، لتجبره على التهام تلك الابتسامة الصفراء السخيفة ..

ولكن الهليوكوبتر استقرّت بالفعل وسط المعسكر ، وتوقّفت مروحتها عن الدوران ، فاتسعت ابتسامة الجنرال الصفراء ، وهو يقول :

ـ مرحبًا .. مرحبًا .. أراهن على أنكم هنا بشأن الأسرى ، الذين أوقعنا بهم عند البحيرة .

أجابه (أدهم) ، وهو يهبط من الهليوكوبتر :

ـ هذا صحيح يا جنرال (دياز) .

اتسعت ابتسامة الجنرال أكثر وأكثر ، قائلاً :

ـ عظيم .. عظيم ..

ثم مال نحو (أدهم) ، مستطردًا :

ـ وأراهن أيضًا على أنكما لم تكونا تعلمان ، أن القائد الحقيقى لهذه الهليوكوبتر ، كان يحمل جهاز تسجيل محمولاً فى جيبه .

قالها ، وتراجع مقهقهًا فى قوة وظفر .. وشماتة ..

ومع ضحكته ، ارتفعت فوهات عشرات المدافع الآلية ، نحو (أدهم) و (منى) ..

وعضت (منى) شفتيها فى غيظ ، وهى تقول :

ـ اللعنة ! لقد كان فخًا .

امتزج قولها بصوت الجنرال (دياز) الخشن الجاف ، وهو يضحك ..

ويضحك ..

و ... يضحك .

★ ★ ★

٥ - الموقع ..

« أنت عبقرى بالفعل يا دكتور (محمد) .. »

نطق مدير المخابرات العامة المصرية العبارة ، وهو يواجه الدكتور (محمد العفيفى) ، خبير الهندسة النووية ، داخل حجرة الاجتماعات الرئيسية ، فى مبنى المخابرات ، فابتسم هذا الأخير ، فى شىء من الخجل ، وهو يقول :

- الواقع أننى ..

لم يستطع إكمال عبارته ، من فرط ارتباكه ، فابتسم المدير ، وهو يقول :

- ذكاؤك فى تحديد سمات المكان ، الصالح لبناء مفاعل نووى ، فى قلب جبال (بوليفيا) ، هو الذى ساعدنا على تحديد المواقع المحتملة لوكر السنيورا .

غمغم الدكتور (محمد) فى ارتباك :

- لم يكن ذلك عسيرًا فى الواقع .

أشار إليه المدير ، قائلاً :

- وهنا تكمن العبقرية .

تبادل الرجال نظرة صامتة ، ثم قال أحدهم فى اهتمام شديد :

- معذرة يا رفاق ، ولكننى أعتقد أنه ، وعلى الرغم من عبقرية الدكتور (محمد) ، التى نعترف بها جميعًا ، إلا أن الوقت يمضى فى سرعة ، ولم يتم تحديد موقع وكر السنيورا بدقة بعد .

ارتبك الدكتور (محمد) أكثر ، وهو يقول :

- ولكننا ضيقنا دائرة البحث على الأقل .

أجابه الرجل فى سرعة :

- هذا صحيح يا دكتور (محمد) ، ولكن ما زال علينا أن نبحث فى ثلاث نقاط مختلفة ، وطبقًا لدراساتك واستنتاجاتك ، يمكن أن تمتلك السنيورا قنبلة ذرية محدودة ، خلال ست ساعات على الأكثر ، وهذا يعنى أنها تستطيع تفجيرها خلال ثمان أو تسع ساعات .

أشار الدكتور (محمد) بسبابته ، وهو يقول :

- ولكنها ستكون قنبلة ذرية محدودة ، وتأثيرها لن يمتدّ إلى مسافة كبيرة .

هزّ الرجل رأسه ، قائلاً :

- تأثيرها ؟! إنها قنبلة ذرية يا دكتور (محمد) .. قنبلة ذرية ، بكل ما ينشأ عنها من تأثيرات ضارة ، وسحب إشعاعية ، يمكن أن يدفعها الهواء لمئات الكيلومترات ، فتؤذى آلاف ، بل ملايين الأبرياء ، لزمن لا يعلمه إلا الله (سبحانه وتعالى) .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا فى حزم :

- إننا لم ننس بعد ما حدث فى كارثة (تشيرنوبل)(*) .

تراجع الدكتور (محمد العفيفى) فى مقعده ، وقلب كفيه ، قائلاً :

- لقد بذلت قصارى جهدى فى الواقع .

أشار الرجل بيده ، قائلاً فى حزم :

- لا أحد يمكنه إنكار هذا .

ثم نهض إلى خريطة (بوليفيا) الكبيرة ، متابعًا فى اهتمام ، يكاد يبلغ حد الحماس :

(*) بسبب خطأ ناشئ عن إهمال جسيم ، تسربت الأشعة من مفاعل نووى تجريبى ، فى مدينة (تشير نوبل) الروسية ، مما أدى إلى حدوث انفجار محدود ، تلوثت إثره منطقة هائلة بالإشعاعات ، التى نقلتها الرياح والسحب لآلاف الكيلومترات .

- ولكن الأمر يحتاج إلى تحديد أكثر ، وإلا ضاع الوقت كله ، دون أن ننجز شيئًا .. انظروا أيها السادة .. ها هى ذى المواقع الثلاثة ، التى تم تحديدها ، وفى رأيى أن السنيورا لن تضع وكرها بالقرب من العاصمة (سوكريه) ، لأن هذه هى النقطة ، التى سيتم تكثيف البحث عندها كالمعتاد ، باعتبارها العاصمة الرسمية للبلاد .. ولن تبنى الوكر بالقرب من (لاباز) أيضًا ، لأنها المركز التجارى الأول للبلاد .. بل ربما لـ (أمريكا الجنوبية) كلها ، وهذا يعنى أن خطوط المواصلات ستكون كثيفة للغاية حولها ، وستكون هناك سيارات ، وقطارات ، وطائرات ، تمضى منها وإليها طوال الوقت ، مع حركة التجارة النشطة فيها ، مما يعرّض أمر الوكر لخطر دائم ، ولاحتمالات لا حصر لها ، فى أن يتم كشفه مصادفة ، حتى ولو تم صنعه بعيدًا عن خطوط المواصلات الأساسية أو الرسمية .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يشير فى حزم إلى الموقع الأخير ، مضيفًا :

- لا يتبقى لنا إذن إلا هذا الموقع الأخير ، بالقرب من فيلا مونتز .

والتفت إليهم بكيانه كله ، مضيفًا فى ثقة :

- ولو أردتم رأيى ، فهنا يكمن وكر السنيورا .. وهنا بنت مفاعلها النووى .

ران على المكان صمت مهيب ، بعد أن انتهى رجل المخابرات من حديثه ، ثم لم يلبث الدكتور (محمد) أن خلع منظاره الطبى ، وهو يقول مبهورًا :

- وتقولون إننى أنا العبقرى ؟!!

نسفت عبارته تلك الصمت والسكون نسفًا ، فلم يكد ينتهى منها ، حتى اعتدل المدير فى مقعده ، وقال فى حزم :

- أبلغوا (ن - ١) على الفور ..

ارتفع حاجبا الدكتور (محمد العقيفى) فى دهشة بالغة ، عندما استحال المكان بغتة إلى كتلة من النشاط والحركة ، فاندفع ثلاثة من الرجال يراجعون خريطة (بوليفيا) ، ويناقشون نظرية زميلهم فى حماس ، وغادر اثنان آخران الحجرة فى سرعة مدهشة ، وانهمك آخر فى عدة أحاديث هاتفية قصيرة ، فى حين غادر المدير مقعده ، وأمسك هاتفًا لاسلكيًا صغيرًا ، راح يهمس عبْره بحديث ما ، عند ركن القاعة ، و ...

« سيدى .. يبدو أنه لن يمكننا العثور على سيادة العميد (أدهم) ، فى الوقت الحالى .. »

انطلق هذا القول كالقنبلة ، فى قاعة الاجتماعات ، فران عليها صمت رهيب مباغت ، والتفت كل من فيها ، بلا استثناء ، إلى الزميل الذى نطق العبارة ، والذى أدار عينيه فى وجوههم ، قبل أن يتابع :

ـ لقد تدهور الموقف فى (بوليفيا) .. تدهور بشدة .

وعلى الرغم من الصمت ، الذى تواصل فى المكان ، بعد أن أنهى الرجل عبارته ، فقد بدا وكأن الجميع قد تلقوا صفعة ..

صفعة قوية ..

للغاية ..

* * *

أنهى مندوب المخابرات الأمريكية فى (بوليفيا) محادثة هاتفية قصيرة ، ثم التفت إلى (ماكلوسكى) ، قائلاً فى اهتمام :

ـ عميلنا فى الحكومة البوليفية يقول : إن قوات الحدود قد ألقت القبض على بعض الجواسيس ، الذين حاولوا التسلل إلى البلاد ، بوساطة طائرة صغيرة .

اعتدل (ماكلوسكى) يسأله :

ـ وماذا عن (أدهم) ؟!

أشار المندوب بسبابته ، قائلاً :

ـ عميلنا يقول : إنه أحد الذين تم إلقاء القبض عليهم ، فقد تم نقل صورته ، عبر الفاكس ، إلى كل وحدات حرس الحدود ، ولا ريب فى أنهم قد تعرفوه على الفور .

ابتسمت (سيرينا) فى سخرية ، قائلة :

ـ ها هو ذا أسطورتكم يسقط ، عند أول احتكاك .

انعقد حاجبا (ماكلوسكى) فى شدة ، وهو يقول :

ـ الرجل ليس بهذه البساطة يا (سيرينا) .

لوح (باكنياه) بيده ، قائلاً :

ـ ولكنه وقع بالفعل .

ازداد انعقاد حاجبى (ماكلوسكى) ، وغمغم :

ـ الأمور لم تنته بعد أيها السادة .

ثم اعتدل فى مجلسه ، مستطردًا فى حزم :

ـ ولكن هذا يمنحنا فرصة للتفوق على الأقل .

قالها ، ونهض من مقعده ، مضيفًا :

ـ ما نتائج آخر بحث ، حول موقع السنيورا ؟!

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يقول :
ـ رجالنا لم ينجحوا فى التوصُّل إلى موقعها أبدًا .
أطلّ غضب صارم من عينى (ماكلوسكى) ، فاستدرك الرجل فى سرعة :
ـ ولكنهم توصَّلوا إلى معلومات أخرى ، بالغة الأهمية والخطورة .
سأله (ماكلوسكى) فى صرامة :
ـ مثل ماذا ؟!
أجابه فى سرعة :
ـ المحافظ (نواريه) يعمل لحسابها .
ارتفع حاجبا (سيرينا) فى دهشة ، قبل أن تقول فى سخرية :
ـ آه .. اللعبة التقليدية .
أشار إليها (ماكلوسكى) بالصمت ، وهو يسأل الرجل فى اهتمام :
ـ ألديكم دليل على هذا ؟!
أجابه الرجل فى سرعة :
ـ بالطبع يا مستر (ماكلوسكى) .. أنت تعلم أننا قد زرعنا بعض أجهزة التنصُّت هنا ، وبوساطتها

أمكننا تسجيل محادثة هاتفية ، بينه وبين السنيورا ، تأمره فيها بشن حملة ضد رجل المخابرات المصرى .
تألَّقت عينا (ماكلوسكى) ، وهو يقول :
ـ عظيم .. هذا يصنع فارقًا ضخمًا .
وعدَّل رباط عنقه ، قبل أن يلتفت إلى رجاله ، قائلاً :
ـ الأفضل أن ترتدوا زى العمل ، وتستعدوا للقتال يا رجال ، فسنبلغ الهدف بعد أقل من ساعة واحدة .
غمغمت (سيرينا) فى اهتمام :
ـ ساعة واحدة ؟!
ارتسمت ابتسامة واثقة ، على شفتى (ماكلوسكى) ، وهو يقول :
ـ نعم يا عزيزتى (سيرينا) .. بعد ساعة واحدة ، عندما أنتهى من لقائى بالمحافظ الهمام للعاصمة ..
واتسعت ابتسامته ، وتسلَّلت إليها لمحة ساخرة ، وهو يضيف :
ـ أو بمعنى أدق .. بعد أن أنتهى من أمر المحافظ نفسه .
تطلَّع إليه الجميع فى تساؤل ، ولكنه لم يمنحهم أى جواب ..

فقط راحت ابتسامته الواثقة الساخرة تتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

★ ★ ★

هوى قلب (قدرى) بين قدميه ، عندما وقع بصره على جنود معسكر الجنرال (دياز) ، وهم يدفعون (أدهم) و(منى) ، داخل حجرة التحقيقات الواسعة ، التى يقف فيها ، مع (جيهان) و (بترو) ، وهتف فى يأس وأسى :

- يا إلهى ! لقد أوقعوا بكما أيضًا .

أدهشه أن ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

- إنه نوع من التجديد يا صديقى .

انعقد حاجبا (جيهان) ، ورمقت (منى) بنظرة محنقة ، وهى تغمغم :

- أخشى أن يكون التجديد هنا نهائيًا .

صاح بهما ضابط التحقيقات فى صرامة :

- اصمتوا .. كلمة واحدة إضافية ، ونطلق النار عليكم دون مناقشة .

أدار (أدهم) عينيه فى المكان فى سرعة ، وأحصى

سبعة من الجنود ، يصوبون إليهم مدافعهم الآلية ، بالإضافة إلى ضابط التحقيقات ، والجنرال (دياز) ، الذى دلف بحجمه الضخم إلى الحجرة ، وقال فى خشونة ساخرة :

- لم أكن أتصوَّر أن إلقاء القبض عليكم سيكون سهلاً إلى هذا الحد !! لقد أخبرونا أنكم غاية فى الخطورة .

قال (أدهم) بالأسبانية فى سخرية :

- ربما كانوا على حق .

صاح به الضابط فى صرامة :

- اصمت .. لا تتحدَّث إلا عندما يوجَّه إليك سؤال .

تمتم (أدهم) :

- هذا أفضل بالتأكيد .

التفت الضابط إلى الجنرال (دياز) ، قائلاً :

- هل ترغب فى استجوابهم بنفسك يا سيِّدى الجنرال ؟!

هزَّ الجنرال كتفيه الضخمتين ، قبل أن يقول فى خشونة :

- سؤالان أو ثلاثة فحسب .

ثم التفت إليهم ، ورمقهم بنظـرة صارمـة شرسـة ، قبل أن يسأل ، بصوته الخشن الجاف :

ـ لمـاذا حاولتم التسلل إلى بـلادنا ؟! أنتم لستم من تجار أو مهربى المخدرات ، فما الذى دفعكم إلى هنا ؟!

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ كنا نفرّ من (البرازيل) ، ولم نجـد مكانـا أفضـل من هذا .

سأله الجنرال فى حدة :

ـ ولماذا كنتم تفرّون من هناك ؟!

هزّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

ـ الاضطهاد السياسى .

تراجع الجنرال فى دهشة ، مرددًا :

ـ الاضطهاد السياسى ؟!

ثم انعقد حاجباه الكثّان فى شدة ، وهو يقول :

ـ هل تسخر منى يا رجل ؟! لا أحد يعانى الاضطهاد السياسى فى (البرازيل) أبدًا ..

اندفعت (جيهان) تقول فى عصبية :

ـ ربما هرعنا إلى هنا ، لنرى وجهك الوسيم .

هبّ الجنرال من مقعده فى غضب ، وتوتّر الموقف كله دفعة واحدة ، فقال (أدهم) فى سرعة :

ـ إنها لم تكن تقصد هذا .

اندفع الجنرال بجسده الهائل نحو (جيهان) فجأة ، وهو يقول :

ـ بل هى امرأة وقحة .

قالها ، وهوى بكفه الضخم على وجه (جيهان) بصفعة قوية ، دفعتها إلى الخلف فى عنف ، فشهقت (منى) فى هلع ، وانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يقول بالعربية :

ـ أيها الوغد .

تراجع الجنرال فى سرعة إلى مقعده ، فى حين صوّب جنوده فوهات مدافعهم الآلية إلى الجميع ، فى تحفز شرس ، وهتف ضابط الاستجواب فى صرامة :

ـ الجنود سيطلقون النار ، عند أول حركة .

اعتدلت (جيهان) ، قائلة فى غضب :

ـ أقسم أن تدفع ثمن هذه الصفعة غاليًا .

ابتسم الجنرال فى سخرية ، فى حين صاح بها الضابط :

ـ اصمتى يا امرأة ، وإلا قطعنا لسانك هذا .

همّت بقول شىء آخر ، ولكن (أدهم) قال بالعربية فى صرامة :

- اصمتى يا (جيهان) .
قالت فى عصبية :
- هل رأيت ما فعله هذا الوغد ؟!
أجابها فى حزم :
- نعم .. رأيت .. وكما قلت .. سيدفع ثمن هذه الصفعة غاليًا .
صاح الضابط فى حدة ، وهو ينتزع مسدسه من غمده :
- قلت : اصمتوا .. وإياكم أن تتحدثوا مرة أخرى بلغة غير مفهومة .
اتسعت ابتسامة الجنرال الواثقة ، ونهض من مقعده ، يفتح حقيبة (قدرى) الكبيرة ، ثم أشار إلى محتوياتها ، وهو يسأل فى صرامة :
- ما هذه الأشياء بالضبط ؟!
بدا الأسى على وجه (قدرى) ، عندما رأى أدواته ، التى أفسدتها الرصاصات ، التى استقبلها (بترو) ، عندما كان يحمى جسده بالحقيبة ، فى حين قال (أدهم) فى هدوء :
- إنها بعض المواد الضرورية .

قال الجنرال فى سخرية خشنة :
- مواد ضرورية ؟! جوازات سفر ، وصور ضوئية ، وأختام ، وبعض المطاط السائل ، والألوان الزيتية أو ما شابه ! أية مواد ضرورية هذه ؟!
اعتدل (أدهم) فى وقفته ، وأدار عينيه فى الجنود السبعة فى بطء ، قبل أن يجيب فى حزم :
- إنها ضرورية ، للخروج من المواقف الصعبة .
لم تكد (منى) و (جيهان) تسمعان عبارته ، حتى اعتدلتا فى وقفتيهما بدوريهما ، وأطلّ من عيونهما شىء من التحفز ، والجنرال يقول فى غضب شرس :
- إياك والسخرية منى ثانية يا رجل .. كيف يمكن لمواد كهذه أن تخرجكم من المواقف الصعبة ؟!
رفع (أدهم) يده ، وثنى خنصره وإبهامه ، وهو يقول :
- هناك ثلاث وسائل لهذا .
سأله الجنرال فى اهتمام عصبى :
- وما هى ؟!
ثنى (أدهم) أصابعه الثلاثة فى تعاقب سريع ، وهو يقول :

- واحد .. اثنان .. ثلاثة .

لم يكد ينتهى من نطق الرقم الأخير ، حتى تحرك فجأة ، هو و (منى) و (جيهان) ، فى آن واحد .. وانقضوا على الجميع ..

وقبل حتى أن يستوعب الجنود السبعة ، وضابطهم ، وجنرالهم الضخم الموقف ، كان (أدهم) قد هشَّم أنف أولهم بلكمة ساحقة ، وحطَّم أسنان الثانى بأخرى ، ثم دار حول نفسه ، وركل الثالث فى معدته ، واختطف مدفعه الآلى من يده ، وهوى بكعبه على مؤخرة عنقه ، قبل أن يستدير ليلصق فوهته بكرش الجنرال الضخم ، ويبتسم فى سخرية ، قائلاً :

- هل تعتقد أن وزنك سينخفض ، لو ثقبنا هذا البالون الكبير .

وفى نفس الثانية ، التى حدث فيها كل هذا ، كانت (جيهان) قد وثبت وثبة مدهشة ، دارت خلالها حول نفسها كالمروحة ، قبل أن تركل اثنين من الجنود ، فى فكيهما ، ثم تهبط على قدميها ، وتلكم الثالث فى أنفه مباشرة لكمة كالقنبلة ، تعاود الدوران بعدها ، لتركل أحد الجنديين السابقين فى أنفه ، وتكرِّر ركلتها للثانى فى فكه ..

أما (منى) ، فقد انقضَّت على الضابط ، وركلت مسدسه ، ثم وثبت تركله فى أنفه وفمه ركلتين متعاقبتين ، و ...

ولكن الجندى المتبقى أدار فوهة مدفعه الآلى نحوها ، هاتفًا :

- أيتها الـ ...

قبل أن يتمَّ عبارته ، كانت قبضة (بترو) تهوى على عنقه كمطرقة هائلة من الصلب ، فشهق بشدة ، وجحظت عيناه عن آخرهما ، وهوى أرضًا ، إلى جوار رفاقه ..

واتسعت عينا الجنرال (دياز) عن آخرهما ، فى رعب هائل ، وهو يحدِّق فى وجه (أدهم) ، الذى قال ساخرًا :

- أعتقد أنك تشعر بكثير من الأسى أيها الوغد .. هل ترغب فى اللحاق برجالك .

احتقن وجه الجنرال فى شدة ، وارتجفت شفتاه ، وهو يهمهم بكلمة ما ، فقال (أدهم) ساخرًا :

- ارفع صوتك قليلاً أيها الوغد .. إننا لا نسمعك .

ارتجفت الكلمات على شفتى الرجل ، وهو يقول :



ثم سقط من مقعده ، وجثا على ركبتيه أمامها ..

ـ الـ ... الرحمة .

التفت (أدهم) إلى (جيهان) ، قائلاً :

ـ إنه رهن إشارتك .. ما الذى ترغبين فى فعله به ؟!

اقتربت (جيهان) من الجنرال فى صرامة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، على نحو ارتجف له الرجل ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يقول فى ضراعة :

ـ الرحمة يا سيدتى .. الرحمة .

ثم سقط من مقعده ، وجثا على ركبتيه أمامها ، وتفجّرت الدموع من عينيه ، على نحو لا يتفق مع ضخامته الهائلة ، وهو يقول باكيًا :

ـ إننى أعتذر عن تلك الصفعة .. أعتذر عنها ألف مرة .. الرحمة يا سيدتى .. لا تقتلينى .. أرجوك .. لا أريد أن أموت .

قلبت (منى) شفتيها فى ازدراء ، وهى تقول :

ـ يا لك من وغد جبان !

أما (أدهم) ، فقد سأل (جيهان) مرة أخرى ، فى اهتمام واضح :

ـ ما الذى ستفعلينه به ؟!

انعقد حاجباها فى غضب أكثر ، وهى تقول فى صرامة :

ـ ما علمتنى إياه يا (أدهم) .

ثم شدت قامتها ، مستطردة فى حزم :

ـ العفو عند المقدرة .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ارتياح وإعجاب ، وهو يغمغم :

ـ أحسنت .

بدا الضيق على وجه (منى) ، وهى تتمتم :

ـ يا للخبيثة !

وفى هدوء ، تطلّع (أدهم) إلى الجنرال ، قائلاً بالأسبانية :

ـ هل رأيت كرم هذه الفتاة الرائعة .. لقد عفت عنك .

حدّق الجنرال فى وجهها ذاهلاً ، ثم انهار يلصق جبهته بالأرض ، هاتفًا من وسط دموعه الساخنة :

ـ أشكرك يا سيدتى .. أشكرك كثيرًا .

تابع (أدهم) فى هدوء :

ـ ولكن الموقف يحتم فقدانك الوعى .

رفع الجنرال رأسه ، قائلاً فى دهشة مذعورة :

ـ ماذا ؟!

التفت (أدهم) إلى (جيهان) ، قائلاً :

ـ (جيهان) .

اختطفت أحد المدافع الآلية ، وهى تقول فى حرارة :

ـ إنه لمن دواعى سعادتى .

وهوت بكعب المدفع على رأس الجنرال (دياز) ، الذى جحظت عيناه على نحو عجيب ، قبل أن يسقط عند قدميها فاقد الوعى ..

ولثانية أو ثانيتين ، ران على المكان صمت رهيب ، قطعه (قدرى) ، وهو يغمغم :

ـ ربّاه ! لقد تعقّدت الأمور أكثر .

التفت إليه (أدهم) ، قائلاً فى استنكار :

ـ تعقّدت ؟!

أجابه فى عصبية :

ـ بالطبع .. صحيح أنكم أفقدتم كل من بالحجرة وعيهم ، ولكن هناك أكثر من خمسين جنديًا مسلحًا فى الخارج ، نصفهم على الأقل سيطلقون النار علينا ، فور خروجنا من هنا .

قالت (جيهان) فى صرامة :

ـ لا تنس أن لدينا سبعة مدافع آلية هنا .

لوّح بذراعيه ، قائلاً فى عصبية أكثر :

ـ عظيم .. رائع .. سبعة مدافع آلية هنا ، وخمسون مدفعًا بالخارج .. إنك ترسمين صورة جميلة للمذابح الرهيبة يا عزيزتى (جيهان) .. أراهن أن على دوى الرصاصات سيبلغ مسامعهم فى (القاهرة) ، حتى يمكنهم إرسال برقيات عزاء لنصفنا على الأقل .

أشار (أدهم) بسبّابته ، وهو يقول :

ـ خطأ يا عزيزى (قدرى) .. إننا سنخرج من هذا المكان ، دون أن تراق قطرة دم واحدة .

سأله (قدرى) فى دهشة :

ـ وكيف يمكننا هذا ؟!

ابتسم (أدهم) ، وهو يلقى نظرة على الجنرال (دياز) الفاقد الوعى ، ثم قال :

ـ سترى يا صديقى .. سترى .

وانعقد حاجبا (قدرى) فى توتر ، فقد بدت له ابتسامة (أدهم) غامضة ..

غامضة للغاية ..

* * *

أطلّت نظرة حذرة ، حائرة ، متسائلة ، من عينى المحافظ (نواريه) ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، ليستقبل (ماكلوسكى) ، قائلاً :

ـ مرحبًا بك فى مكتبى ، يا مندوب الحكومة الأمريكية .. إنه ليدهشنى فى الواقع أن تأتى لزيارتى ، مع مطلع الفجر ، وكأنك تعلم أننى ، وبصفة استثنائية بحتة ، قضيت نصف ليلتى هنا .

ابتسم (ماكلوسكى) ابتسامة صفراء ، لم ترق أبدًا للمحافظ ، وهو يقول :

ـ الواقع أننى أعلم الكثير يا سيّدى المحافظ .

التقى حاجبا المحافظ فى قلق ، مع هذا القول ، الذى يحتمل عشرات المعانى ، وتطلّع إلى وجه (ماكلوسكى) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يشير إليه بالجلوس ، قائلاً فى مزيد من الحذر والتوتر :

ـ تفضّل يا مستر (ماكلوسكى) .. أراهن على أنه لديك الكثير لتقوله ، بعد هذه المقدّمة المدروسة ، التى تحاول التأثير بها على مشاعرى .

ابتسم (ماكلوسكى) فى سخرية ، وقال :

ـ التأثير عليك ؟! خطأ أيها المحافظ .. إنها مقدّمة

بسيطة ، أما التأثير عليك ، فربما يبدأ مع الجملة التالية .

ومال إلى الأمام ، مستطردًا فى حزم :

- إننى أعمل لحساب المخابرات المركزية الأمريكية .

تراجع المحافظ بحركة حادة ، وسرت فى جسده قشعريرة عجيبة ، قبل أن يتمالك نفسه ، ويلتقط أنفاسه فى توتر ، قائلاً :

- نصف الأمريكيين كذلك .

أطلق (ماكلوسكى) ضحكة ساخرة قصيرة ، ثم هزّ رأسه ، وقال :

- رقم مبالغ فيه للغاية ، ولكنه يروق لى ؛ لذا فسأتجاوز عبارتك ، وأقول : إننى ضابط فى المخابرات الأمريكية ، وإننى هنا فى مهمة رسمية .

اتسعت عينا المحافظ ، وهو يردد :

- مهمة رسمية ؟!

نهض (ماكلوسكى) من مقعده ، وأخرج من جيبه شريط تسجيل صغيرًا ، قائلاً :

- دعنا نستمع إلى هذا أولاً ، ثم نتحدث فيما أتيت بشأنه .

التقى حاجبا المحافظ فى توتر ، وهو يتابع (ماكلوسكى) بعينيه ، فى حين اتجه هذا الأخير إلى جهاز استماع صغير ، دسّ فيه الشريط ، ثم ضغط زر التشغيل ، واستدار يواجه المحافظ ، ويعقد ساعديه أمام صدره ..

وتصاعد توتر المحافظ ، وهو ينتظر انبعاث الصوت من جهاز الاستماع ، ولكنه لم يكد يستمع إلى ما بثّه الجهاز ، حتى انتفض جسده فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وخفق قلبه فى قوة ، قبل أن يهوى منسحقًا بين قدميه ..

ففى وضوح شديد ، وبصوت لا يمكن أن تخطئه الأذن ، سمع المحافظ حديثه مع السنيورا ، عندما أمرته باتخاذ كل الإجراءات الممكنة ، لمطاردة (أدهم) ، وإلقاء القبض عليه .

وجحظت عيناه فى ارتياع ، عندما وصل الحديث إلى تلك الفقرة ، التى تشير فيها السنيورا إلى ما تقاضاه ويتقاضاه منها من أموال ..

وانهار المحافظ تمامًا ..

كان هذا الشريط كفيلاً بهدم مستقبله كله ..

بلا هوادة ..

أما (ماكلوسكى) ، فقد ظلَّ صامتًا ، ساخرًا ، شامتًا ، حتى انتهى الحديث ، فأغلق جهاز الاستماع ، والتقط منه الشريط ، وألقاه فى جيبه ، قائلاً :

- والآن ، أعتقد أن حديثنا سيكون ممتعًا أيها المحافظ .

بدا صوت المحافظ أقرب إلى النحيب ، وهو يقول :

- ماذا تريد ، ثمنًا لهذا الشريط ؟!

أجابه (ماكلوسكى) فى حزم :

- بعض المعلومات .

رفع المحافظ عينيه إليه ، قائلاً :

- مثل ماذا ؟!

رمقه (ماكلوسكى) بنظرة صارمة طويلة ، ثم اتجه إليه فى بطء ، ومال بجسده ، ليستند إلى سطح مكتبه براحتيه ، ويتطلع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً :

- أين أجد السنيورا ؟!

لم يكد (ماكلوسكى) ينطق اسمها ، حتى أدرك على الفور مدى قوتها وسطوتها ، فى هذه المنطقة على الأقل ..

لقد انتفض جسد المحافظ فى قوة ، واتسعت عيناه

عن آخرهما فى ذعر بلا حدود ، وتراجع بمقعده فى حركة حادة ، كاد يسقط معها أرضًا ، وهو يطلق شهقة فزع قوية ، قبل أن يهتف :

- لا .. لا يمكننى أبدًا أن أخبرك .

اختطف (ماكلوسكى) فتّاحة الخطابات ، من سطح المكتب ، وغرس طرفها فى عنق المحافظ ، وهو يقول فى صرامة :

- بل ستخبرنى أيها المحافظ .. ستخبرنى وإلا قضيت على مستقبلك كله .

تأوَّه (نواريه) فى ألم ، وسال خيط من الدم ، من الموضع الذى انغرس فيه طرف فتّاحة الخطابات ، على عنقه كله ، وهو يقول فى عصبية :

- ربما يمكنك القضاء على مستقبلى ، ولكنها تستطيع القضاء على حياتى كلها .

غرس (ماكلوسكى) جزءًا آخر من فتاحة الخطابات ، فى عنق المحافظ ، وهو يقول :

- ومن قال : إننى لن أفعل ؟! سنتيمتر آخر ، وأقطع وريدك العنقى ، ثم أتركك تنزف حتى تموت .

ارتجف المحافظ فى قوة ، وهتف فى ذعر وألم :

- ألا تدرك ما تفعله يا رجل ؟! إننى المحافظ .

أجابه (ماكلوسكى) فى شراسة :

- وأنا رجل لا يؤمن سوى بالانتصار ، مهما كان الثمن ، وسواء عندى أن أقطع عنق محافظ ، أو عنق متسول .. المهم أن أظفر بما أريد .

كاد المحافظ يبكى ، وهو يقول :

- أنت لا تعرفها .. إن قاموسها لا يحوى كلمة (الرحمة) .. إنهم يقولون : إنها وُلِدَتْ بلا قلب .

قال (ماكلوسكى) فى حدة :

- أخبرنى أين هى ، وسأجعلها بلا قلب فعليًا .. سأنتزع قلبها من صدرها ، بعد أن أجزّ عنقها بلا رحمة .

قاوم المحافظ فى عنف ، وهو يقول :

- لا .. لا يمكننى .

لكمه (ماكلوسكى) فى أنفه بعنف ، وتراجع بقبضته الملوثة بالدم ، قائلاً :

- اسمع يا رجل .. من الواضح أنك لا تدرك خطورة الأمر وحساسيته .. تلك اللعينة تستعد لإنتاج قنابل ذرية ، لتهديد العالم كله ، ولا أحد لديه أدنى

استعداد لتركها على قيد الحياة ، أو التسامح مع أى شخص يتعاون معها .. هل تدرك ما يعنيه هذا ؟! لو أنك أغبى من أن تستوعب الأمر ، فدعنى أخبرك أن هذا يعنى أن أحدًا لن يسمح لك بالعبث لحظة واحدة ، وأننى لن أتردد فى قطع رقبتك بلا رحمة ، لو لم أحصل منك على ما أريد ، وبأدق التفاصيل .

ارتجف جسد (نواريه) مرات ومرات ، مع كل كلمة نطق بها (ماكلوسكى) ، ثم أطلق صوتًا كالنحيب ، عندما انتهى هذا الأخير من حديثه ، وقال :

- فليكن يا مستر (ماكلوسكى) .. فليكن .. سأخبرك بكل ما أعرفه .

أبعد (ماكلوسكى) فتاحة الخطابات ، وألقاها على المكتب ، وهو يقول فى صرامة :

- كلى آذان مصغية أيها المحافظ .

التقط (نواريه) بعض المناديل الورقية ، ومسح بها الدماء عن عنقه ، وهو يتحدث ..

ويتحدث ..

ويتحدث ..

* * *

شد جنود المعسكر قامتهم فى سرعة ، عندما برز الجنرال (دياز) بحجمه الضخم ، من حجرة الاستجواب ، وسمعوه يقول فى صرامة ، بصوته الخشن الجاف :

- انتباه .

ارتفعت صدورهم ، وتجمّدت أعناقهم مع صيحته ، وضرب كل منهم الأرض بكعب مدفعه ، قبل أن يتابع الجنرال :

- فليتخذ كل منكم موقع الطوارئ .. لا أحد يدخل المعسكر أو يخرج منه ، إلا بتوقيع خاص منى .

ثم أشار إلى الحجرة ، مستطردًا فى خشونة :

- أحضر الأسيرين .

خرج (قدرى) و (بترو) من الحجرة ، وخلفهما جنديان ، يصوّبان إليهما مدفعيهما الآليين ، والجنرال يقول فى خشونة ، وهو يتجه مع الأسيرين والجنديين ، نحو الهليوكوبتر ، الرابضة فى قلب المعسكر :

- أريد حراسة مكثّفة على حجرة الاستجواب .. لا تسمحوا لأحد بالخروج منها ، مهما كان الثمن .. تذكّروا أن الأمر خطير للغاية .

ثم أشار إلى الهليوكوبتر ، وهو يقول للجنديين فى صرامة :

- هيّا .. ادفعوهما داخل الهليوكوبتر .

عقد أحد ضباط المعسكر حاجبيه ، وهو يتابع ما يحدث ، وأدهشه أن يركب الجنديان الطائرة مع الأسيرين ، فهمس لزميله :

- ماذا يحدث هنا ؟! ألا يبدو لك أن الجنرال غريب الأطوار اليوم ؟!

هزّ زميله كتفيه ، وقال :

- إنه دائمًا غريب الأطوار .

قال الضابط الأوّل فى عصبية :

- ليس إلى هذا الحد .. انظر .. إنه يحتلّ مقعد قيادة الهليوكوبتر بنفسه .

سأل زميله فى حيرة :

- وماذا فى هذا ؟!

أجابه فى توتر شديد :

- ماذا فى هذا ؟! الجنرال لا يجيد قيادة طائرات الهليوكوبتر أبدًا .

ثم اندفع نحو حجرة الاستجواب ، مستطردًا فى انفعال :

- هناك أمر ما ، لا يمكننى استيعابه قط .

حاول جندى حراسة الحجرة اعتراضه ، قائلاً :

- معذرة يا سيدى الضابط ، ولكن الأوامر تحتم ..

قاطعه الضابط فى صرامة ، وهو يدفع باب الحجرة فى حدة :

- تحتم منع الخروج لا الدخول أيها الـ ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدق فى كل تلك الفوضى داخل الحجرة ..

الجنود والضابط كلهم على الأرض ، فاقدو الوعى ، وقد تجرد اثنان منهم من ثيابهما .

كل المقاعد والفراش الصغير فقدت المادة الإسفنجية السميكة ، التى تستخدم لحشوها .. الحقيبة الكبيرة مفتوحة ، والأدوات داخلها مبعثرة ، وإلى جوارها وعاء تجمد فيه بعض المطاط اللين ..

والأدهى أن الجنرال نفسه كان هناك ..

كان ملقى بجسده الضخم فى ركن الحجرة ، فاقد الوعى ، وقد اختفى زيه الرسمى ..

وهتف الضابط فى ذهول :

- مستحيل ! لا يمكن أن يتواجد فى مكانين ، فى آن واحد .

ثم استدار بحركة حادة للغاية نحو الهليوكوبتر ، وحدق فى ذلك الذى يحمل نفسه وجه وهيئة الجنرال ، ويدير مروحة الهليوكوبتر الضخمة ، و ...

واستوعب الضابط الموقف كله فى سرعة ، على الرغم من غرابته ..

وبأقصى سرعته ، انطلق يعدو نحو الهليوكوبتر ، وانتزع مسدسه من غمده ، صائحًا :

- أوقفوهم .. إنه ليس الجنرال .

وانطلقت رصاصاته نحو الهليوكوبتر ، التى لم ترتفع بعد عن الأرض ..

وارتفعت فوهات عشرات المدافع الآلية ..

وانطلق سيل من الرصاصات ، ارتفع دويه إلى عنان السماء ..

رصاصات أصابت هدفها ..

كلها .

* * *

٦ - الجبال ..

انهمكت السنيورا فى مراجعة النتائج الأخيرة ، لعملية صنع القنبلة الذرية الأولى ، وبدا عليها التوتر الشديد ، وهى ترفع عينيها إلى البروفيسير (استروتيسكى) ، قائلة .

- الأمور تسير فى بطء شديد يا رجل .. كان ينبغى أن نبلغ هذه المرحلة منذ نصف ساعة مضت .

أشار (استروتيسكى) بيده ، قائلاً :

- الجميع يبذلون جهدًا مضاعفًا يا سنيورا ، ونصفهم لم يذق النوم ، منذ أكثر من ثلاثين ساعة متصلة .

ألقت التقارير بامتداد يدها فى عنف ، صائحة :

- هذا لا يعنينى .. فليلقوا حتفهم ، لو اقتضى الأمر هذا .. المهم أن يتم إنتاج هذه القنبلة فى موعدها بأى ثمن .. هل تفهم ؟ أى ثمن .

أومأ برأسه متفهمًا ، وقال فى توتر :

- سنبذل قصارى جهدنا يا سنيورا .

أشعلت سيجارتها فى عصبية ، وهى تقول :

- فليكن .. أخبرهم أننى سأكافئ الجميع فى سخاء ، لو تم إنتاج القنبلة فى موعدها .

ثم صرخت فجأة :

- وسأعاقبهم بمنتهى القسوة ، لو تأخر إنتاجها نصف ساعة .. هل تفهم ؟!

تراجع مضطربًا ، وهو يقول :

- أفهم يا سنيورا .. أفهم .

راحت تنفث دخان سيجارتها فى عصبية ، حتى غادر الحجرة ، فاختطفت هاتفها الخاص ، وضغطت أزراره فى سرعة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تستمع إلى الرنين المتواصل ، على الجانب الآخر ، دون أن تحصل على جواب ، فهتفت فى حنق :

- أين أنت يا (تواريه) اللعين ؟! لماذا لا تجيب مكالماتى ؟! ولماذا لم تتصل ، لتخبرنى ما انتهى إليه الأمر حتى الآن ؟! لماذا ؟! لماذا ؟!

انتظرت بضع لحظات أخرى ، ثم ألقت الهاتف فى حنق ، قائلة :

- اللعنـة ! هنـاك شيء ما غير صحيح .. شيء لا يسير كما ينبغي .

اتجهت إلى الشرفة ، وتطلعت إلى السماء ، التى تلونت بألوان الشروق الأولى ، فى مشهد ربانى رائع ، لم تنتبه هى إليه ، مع شرودها ، ودخان سيجارتها ، الذى تنفثه فى عصبية شديدة ، وعقلها يدور ويدور حول هذا الأمر ..

اختفاء (نواريه) المباغت يعنى الكثير حتمًا ..

كان من الطبيعى أن يتصل بها ، كل حين وآخر ، أو يحدد موقعه على الأقل ، فى مثل هذه الظروف العصيبة ..

خاصة وهو يعلم مدى دقة وخطورة الأمر ..

ولكنه لم يفعل هذا أو ذاك ..

فلماذا ؟!

لماذا اختفى على هذا النحو ؟!

لماذا لا يمكنها العثور عليه ، فى كل الأماكن ، التى يفترض وجوده فيها ، فى هذا الوقت ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

التقى حاجباها طويلاً ، وهى تفكر فى الأمر بعمق ، ثم لم تلبث أن تمتمت ، وهى تلقى سيجارتها من الشرفة :

- يا للشيطان ! أمن الممكن أن ...

لم تتمّ عبارتها ، وإنما انهمكت فى التفكير العميق لبضع لحظات أخرى ، قبل أن تشعل سيجارة ثانية ، وتتجه نحو جهاز الاتصال الداخلى ، فى خطوات واسعة عصبية ، وتضغط زره ، قائلة :

- أريد (لورانزو) على الفور .

لم تمض دقائق معدودة ، حتى دلف إلى حجرتها شاب مفتول العضلات ، متين البنيان ، وسيم الملامح ، يقول بصوت قوى واثق :

- رهن إشارتك يا سنيورا .

سألته فى توتر :

- ما موقف الشحنة ، التى وصلت من الولايات المتحدة الأمريكية ؟!

أجابها بنفس الصوت القوى :

- كل شيء على ما يرام يا سنيورا ..

نفثت دخان سيجارتها فى عصبية ، وقالت :

ـ عظيم .. أريد الجهاز سليمًا ومعدًّا للعمل والانطلاق ، فى أيّة لحظة .

أومأ برأسه ، وهو يقول :

ـ إنه كذلك يا سنيورا .

رددت فى عصبية زائدة :

ـ عظيم .. عظيم .

ثم ألقت السيجارة ، قبل أن تكتمل ، وقالت فى صرامة :

ـ اسمعنى جيدًا يا (لورانزو) .. يبدو لى أن الأمور لا تسير على ما يرام ، فى هذه الساعات الأخيرة .

بدا عليه الانتباه الشديد ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابعت بنفس العصبية ، ودخان سيجارتها يتصاعد إلى سقف الحجرة :

ـ لست أدرى ما الذى تطوّرت إليه الأمور بالضبط ، ولكننى أتوقّع محاولة لبلوغ وكرنا ، بين ساعة وأخرى .

التقى حاجباه فى اهتمام ، وهى تتابع بنفس العصبية :

ـ من حسن حظنا أن الشمس ستشرق بعد قليل ،

وكل ما نحتاج إليه هو ست ساعات فحسب ، حتى نبدأ مشروعنا النووى ، ولا يعود بوسع أحد إيقافنا ، حتى ولو أعلنا موقعنا ، وهذا يعنى أن هجومهم لابد أن يتمّ فى ضوء النهار ..

نفثت دخان سيجارتها فى قوة وعصبية ، ثم واصلت :

ـ إنهم لا يستطيعون قصفنا بالصواريخ ، أو مهاجمتنا بالطيران ؛ لأنهم يعلمون جميعًا أن انفجار مفاعلنا النووى سيسبب كارثة رهيبة ، تفوق كارثة (تشير نوبل) ، وهذا يعنى أن الهجوم سيتم برًّا ، وبأسلوب أقرب إلى حروب العصابات الانتحارية .

صمتت بضع لحظات ، وهى تفكّر ، فى عمق شديد ، قبل أن تلتفت إليه ، قائلة فى حزم وصرامة :

ـ اسمعنى جيدًا يا (لورانزو) .. أريد منك أن تقود خمس فرق من أقوى رجالنا ، لحراسة ومراقبة كل ما يحيط بوكرنا .. احملوا كل ما يمكنكم من أسلحة : مدافع آلية .. قنابل .. قاذفات صواريخ .. كل الأسلحة الممكنة ، للدفاع عن المكان ، ونسف كل من يحاول الاقتراب منه ، فى دائرة نصف قطرها خمسة كيلومترات .

وألقت سيجارتها الثانية فى عصبية ، وهى تضيف بحزم وصرامة أكثر :

- أريد ست ساعات يا (لورانزو) .. ست ساعات .

والتقى حاجباها على نحو مخيف ، وهى تضيف :

- مهما كان الثمن ..

وكانت تعنى كل حرف نطقته ، فى عبارتها الأخيرة .. كل حرف ..

★ ★ ★

مع المفاجأة ، وسرعة سير الأمور ، لم يستوعب جنود معسكر الجنرال (ديـاز) الموقف بالسرعة المناسبة ..

كل ما رأوه واضحًا ، فى عيونهم على الأقل ، هو أن أحد ضباط المعسكر يصرخ ، مطالبًا إياهم بإيقاف جنرالهم ، الذى يعاملونه ويتطلعون إليه ، كما لو كان إلهًا ، ثم لا يكتفى بهذا ، وإنما ينتزع مسدسه من غمده ، ويصوبه إليه ، وهو يعدو نحو الهليوكوبتر ..

وعلى الفور ، قفزت إلى رءوسهم فكرة واحدة .. التمرد ..

أحد كبار ضباط المعسكر ، يحاول اغتيال الجنرال (دياز) ..

وفى هذا الأمر ، لديهم أوامر واضحة مشددة .. من الجنرال (دياز) نفسه ..

لذا ، فقد ارتفعت فوهات مدافعهم كلها نحو الضابط ، و ...

وانطلقت رصاصاتهم كلها فى آن واحد ..

وأصابت هدفها ..

وكان المشهد رهيبًا بحق ..

أكثر من خمسمائة رصاصة ، أصابت جسد الضابط المسكين فى لحظة واحدة ..

وأشاحت (منى) ، المتنكرة فى هيئة أحد الجنود ، وجهها ، هاتفة :

- يا للبشاعة !

ولم يضع (أدهم) لحظة واحدة ..

لقد جذب عصا القيادة ، فارتفعت الهليوكوبتر على الفور ، وأطلقت مروحتها الكبيرة تيارًا من الهواء ، طارت معه قبعات الجنود ، الذين أصابهم شىء من الوجوم ، بلبل أفكارهم ، وجعلهم يتساءلون فى حيرة عن صحة ما أقدموا عليه ..

فقط ضابط واحد ، هو الذى اندفع نحو حجرة

الاستجواب ، بحثًا عما أثار زميله إلى هذا الحد المخيف ..

وعندما وقع بصره على الحجرة ، اتسعت عيناه فى ذهول ، وهتف :

ـ يا إلهى ! إنه الجنرال .

كان (دياز) يستعيد وعيه فى هذه اللحظة ، فهتف بصوته الخشن الجاف :

ـ الجواسيس .. أين هم ؟! أوقفوهم .. لا تسمحوا لهم بالفرار .

حدّق الضابط فيه مرة أخرى فى ذهول ، ثم استدار فى حركة حادة ، يحدّق فى الهليوكوبتر ، التى انطلقت مبتعدة ، قبل أن يقول بصوت يحمل اضطراب الدنيا كلها :

ـ لقد .. لقد هربوا بالفعل يا جنرال .. انطلقوا بالهليوكوبتر منذ لحظات .

اتسعت عينا الجنرال (دياز) فى غضب ، وراح يقاوم قيوده ، صارخًا :

ـ هربوا .. اللعنة ! لا يمكن أن يهربوا من (دياز) .. لا يمكن .. أوقفوهم بأى ثمن .. بأى ثمن .



اتسعت عينا الجنرال (دياز) فى غضب ، وراح يقاوم قيوده ..

اندفع الضابط نحوه ؛ ليحلّ قيوده ، قائلاً فى توتر :

ـ سنفعل كل ما بوسعنا يا جنرال .. سوف ..

صرخ فيه الجنرال (دياز) ، فى غضب هادر :

ـ ماذا تفعل أيها الغبى ؟! اترك هذه القيود الآن ، واتصل على الفور بالقوات الجوية ، قبل أن يبتعدوا كثيرًا .. أسرع أيها التعس .. لا تضع لحظة واحدة ..

تركه الضابط ، وانطلق يعدو نحو جهاز الاتصال اللاسلكى ، فى حجرة الاستجواب ، وضغط زره ، وهو يجرى اتصاله بالقوات الجوية ، ليبلغهم بالأمر .. بكل تفاصيله ..

وفى نفس اللحظة ، التى فعل فيها هذا ، كانت (جيهان) تقول فى استرخاء :

ـ خطة عبقرية يا (أدهم) .. لقد أثبت اليوم أنك أستاذ فى فن التنكر بالفعل .

رمقتها (منى) بنظرة جانبية ، وهى تقول فى سخرية :

ـ هل كشفت هذا اليوم فقط ؟! يا للعبقرية !

انعقد حاجبا (جيهان) ، وهى تقول فى عصبية :

ـ كل شخص فى جهاز المخابرات المصرى ، يدرك

مدى عبقرية العميد (أدهم) ، فى هذا المضمار بالذات ، ولكن أن تسمع شىء ، وأن ترى شىء آخر .

لم ينتبه (قدرى) إلى طبيعة الحوار بينهما ، فقال فى حماس :

ـ الواقع يا (منى) أن (أدهم) قد أدهشنى أيضًا ، وهو ينتحل هيئة ذلك العملاق البغيض ، فلقد تساءلت فى البداية ، كيف سيمكنه انتحال هيئة ذلك الوغد ، مع حجمه الهائل هذا ؟! ولقد بهرتنى فكرة استخدام الإسفنج ، من الفراش والمقاعد ، لملء فراغ زىّ الجنرال ! أما تحويل المطاط السائل إلى قناع متقن لوجه الرجل ، فقد كان لمحة عبقرية بالفعل .

أشار إليهم (أدهم) بالصمت ، وقال فى حزم :

ـ كفى يا رفاق .. الموقف لا يحتمل مناقشة أمر كهذا لفترة طويلة .. لقد كشفوا أمرنا الآن ، وهذا يعنى أن قواتهم الجوية ستنقضّ علينا ، بين لحظة وأخرى .

بُهتَ (قدرى) للكلمات ، فغمغم :

ـ يا إلهى ! هذا صحيح .

راح (أدهم) ينتزع زى الجنرال ، وذلك الحشو الإسفنجى عن جسده ، وهو يقول :

- سأحاول الانطلاق على ارتفاع منخفض ، بحيث يمكننا تحاشى أجهزة الرادار ، أما الخطوة الأكثر أهمية الآن ، فهى الاتصال بالقيادة .

قالها ، وهو يلتقط بوق جهاز اللاسلكى ، ويداعب مؤشره ، لتغيير ذبذبة الاتصال ، فسأله (قدرى) فى دهشة :

- هل يمكنك الاتصال بـ (القاهرة) ، بوساطة هذا الجهاز ؟!

أجابه (أدهم) ، وهو يضغط زر الاتصال :

- كلا بالطبع ، ولكننى أستطيع الاتصال برجال مكتبنا فى (سوكريه) ، وستكون لديهم أية تفاصيل جديدة بالتأكيد .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت عبر جهاز الاتصال ، يقول بالأسبانية :

- من اعترض شروق الشمس ، على هذه الذبذبة ؟!

أجابه (أدهم) بالفرنسية :

- طائر الليل الحزين .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يقول الصوت نفسه بالألمانية فى اهتمام :

- وهل بلغ طائر الليل عشه ؟!

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول بالعربية :

- بالتأكيد يا رجل .. لابد أن يطعم صغاره .

هتف صاحب الصوت فى لهفة :

- سيادة العميد .. حمدًا لله على سلامتك .. الجميع فى الوطن يترقبون أخبارك بمنتهى اللهفة .. عندى لك معلومة جديدة .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

- أهى بخصوص الأفعى ؟!

أجابه الرجل على الفور :

- نعم .. لقد أمكنهم تحديد موقع جحرها .

اعتدل الجميع فى اهتمام كامل ، عندما نطق الرجل عبارته الأخيرة ، وانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يسأله :

- أين هو ؟!

ألقى إليه الرجل إحداثيات الموقع بمنتهى الدقة ، ثم أضاف فى اهتمام :

- هل تحتاج إلى الدعم يا سيادة العميد ؟!

استدار (أدهم) يلقى نظرة على رفاقه ، ثم أجاب فى حزم :

- أعتقد أن لدى هنا ما يكفينى .

ابتسمت (جيهان) ، ورفعت إبهامها ، قائلة فى حماس :

- أحسنت .

أضاف (أدهم) ، وكأنه لم يسمع عبارتها :

- الواقع أن لدى راكب زائد .

قال (قدرى) فى عصبية :

- من هذا الراكب الزائد ؟!

تجاهل (أدهم) سؤاله ، وهو يقول ، عبْر جهاز الاتصال اللاسلكى :

- أريد سيارة وسائقًا ، عند الموقع (سى + ١٧) ، جنوب (فيلا مونتز) .. سيتم نقل راكب بالغ الأهمية ، إلى المدينة ، ومنها بطائرة خاصة إلى (سوكريه) .. امنحوه كل التسهيلات التى يطلبها .. إننا نعتمد عليه تمامًا ، فى رحلة العودة .. هل تفهم ؟!

أجابه الرجل ، فى احترام شديد :

- كما تأمر يا سيادة العميد .. ستجد السيارة والسائق عند الموقع (س + ١٧) ، جنوب (فيلا مونتز) ، بعد ساعة واحدة من الآن .

قال (أدهم) فى ارتياح :

- عظيم .. حاول المحافظة على الموعد بمنتهى الدقة ، وأرسل إلينا كل ما نحتاج إليه من أسلحة .

ثم أنهى الاتصال ، وقال لـ (قدرى) فى حزم :

- كما سمعت يا صديقى .. إننا نعتمد عليك فى رحلة العودة .

قال (قدرى) فى ارتباك :

- وما الذى يمكننى أن أفعله يا (أدهم) ؟! رصاصات الجنود أتلفت كل ما أحضرته معى من وثائق ، وحتى جوازات السفر الزائفة ،

أجابه (أدهم) فى سرعة :

- سيوفرون لك كل ما تحتاج إليه .. الفارق الوحيد هو أنك ستضطر لاستخراج جوازات سفر (بوليفية) .

ثم ابتسم ، مستطردًا :

- وأنا واثق من أنك ستجيد عملك إلى أقصى حد .

هزّ (قدرى) رأسه متفهّمًا ، وغمغم فى أسى :

- لا يروق لى أن أتخلّى عنكم الآن .

ثم رفع عينيه المغرورقتين بالدموع إلى (أدهم) ، مضيفًا :

ـ لقد بدأت اللعبة تروق لى .
تنهّد (أدهم) ، قائلا :
ـ ربما يا صديقى .. ربما .. ولكن الجزء القادم من اللعبة لن يروق لك ، ولن يناسبك بالتأكيد .. ستبدو أشبه بلاعب كرة قدم محترف ، فى حلبة ملاكمة .. أدِّ دورك الطبيعى يا رجل ، وستبدو لك اللعبة أكثر إمتاعًا ، و ...
بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فجأة :
ـ تشبّثوا بمقاعدكم .
تشبّث كل منهم بمقعده فى حركة آلية ، وحدّقوا فى ذلك المشهد ، الذى أمامهم ، عبْر الواجهة الزجاجية للهليوكوبتر ..
فهناك ، أمام قرص الشمس ، الذى يبدأ رحلته اليومية ، ظهرت ثلاث طائرات هليوكوبتر حربية ، تنطلق نحوهم ..
مباشرة ..

* * *

« دقائق ونبلغ الموقع المطلوب أيها السادة .. »
بلغ ذلك النداء مسامع (ماكلوسكى) ورجاله ،

وهم يجلسون داخل طائرة خاصة ، تُحلّق فوق جبال (فيلا مونتز) ، فاعتدل الرجل ، وألقى سيجارته أرضًا ، وسحقها بقدمه ، وهو يواجه فريقه الصغير ، قائلاً فى حزم :
ـ للمرة الأخيرة سنراجع الخطة ، قبل الهبوط .
تمتمت (سيرينا) ..
ـ يا للضجر !
تجاهل قولها تمامًا ، وهو يتابع :
ـ التطوّرات السريعة للأمر ، أجبرتنا على أن نبدأ القتال بعد مطلع الشمس ، وهذا يتعارض بالطبع مع القواعد الصحيحة للتسلل ، التى تفضّل الليل بسكونه وظلمته ، عن النهار بوضوحه وسطوعه ، مما يعنى أننا لن نستطيع الهبوط ، بالقرب من وكر السنيورا ، لذا فسنهبط على مسافة خمسة كيلومترات منه ، مع كل معداتنا ، وسنتجه إليه مباشرة من محورين ، بحيث نبلغه بعد ساعة واحدة على الأكثر(*) .
مطّ (ماسياس) شفتيه ، وقال فى حنق :

(*) يبلغ متوسط سرعة الإنسان العادى ، على الأرض الممهّدة ، ستة كيلو مترات فى الساعة .

- لماذا أحضرتم إذن تلك السيارات ، ما دمنا لن نستخدمها هنا ؟!

أطلق (باكنباه) ضحكة ساخرة ، وقال :

- يا لك من رجل ! كم يدهشنى أن حصلت على كل تلك الأوسمة ؟!

ثم اعتدل ، وأشار إلى رأسه ، مضيفًا فى تهكم :

- استخدم عقلك يا رجل .. كيف يمكن أن تقود سيارة ، فى جبال وعرة كهذه ؟!

أجابه (ماسياس) فى غضب :

- لقد كنا نقود السيارات ، فى الجبال الروسية ، و ...

قاطعه (ماكلوسكى) فى غضب صارم :

- كفى ! لن أسمح بحدوث هذا التجاوز السخيف مرة أخرى .. استمعوا إلىَّ جيِّدًا ، وكفُّوا عن هذه المجادلات الطفولية السخيفة .

لوَّحت (سيرينا) بكفها ، قائلة :

- نستمع إلى ماذا يا رجل المخابرات ؟! لقد حفظنا تلك الخطة عن ظهر قلب .. سنتجه إلى الوكر من محورين .. المحور الأوَّل يتكوَّن منك و(ماسياس) ،

وستهاجمان الوكر من ناحية الشمال ، أما المحور الثانى ، والذى يتكوَّن منى ومن (باكنباه) ، فسيهاجم من الغرب .. ومهمتنا هى نسف الصخور المحيطة بالوكر ، بحيث تتساقط فوقه ، وتسد كل الطرق المؤدية إليه ، بحيث يمكنك أنت و(ماسياس) أن تنقضا من الشمال ، بالقنابل المسيلة للدموع ، وقنابل الدخان ، ومع الاضطراب الحادث ، أهجم أنا و (باكنباه) بالقنابل اليدوية ، و ...

بترت عبارتها ، وتنهَّدت ، مستطردة :

- وأنت تحفظ الباقى .

انعقد حاجبا (ماكلوسكى) ، وقال فى حنق :

- أسلوبك يجعل الخطة مسطَّحه سخيفة يا (سيرينا) ، ويجعلنا أشبه بمجموعة من البلهاء ، فى فيلم هزلى .

هزَّت كتفيها المكتظتين بالعضلات ، قائلة :

- ربما لا أجيد طرح الأمور فى أناقة ، ولكن هذا ملخص ما سنفعله .. أليس كذلك ؟!

مطَّ (باكنباه) شفتيه ، قائلاً :

- إنك تهينين خبرتى بالمفرقعات .

قالت فى ضيق :

ـ عظيم .. اتركوا خطتكم الأساسية إذن ، واجعلوا منى كبش فداء لكم ، لمجرّد أننى ...

قاطعها صوت الطيّار ، وهو يقول :

ـ استعدّوا للقفز .

أشار (ماكلوسكى) إليهم ، قائلاً فى حزم :

ـ هيا سيبدأ العمل الفعلى ، وستضطرون لإيقاف سخافاتكم هذه ، على الرغم منكم .

اصطفّ الجميع ، عند باب الطائرة ، وتطلّعوا فى اهتمام إلى المصباح الأحمر فوقه ، ثم سرت موجة قوية فى عروقهم ، عندما أضىء المصباح الأخضر ، وهتف (ماكلوسكى) :

ـ اقفزوا ..

ودون لحظة واحدة من التردّد ، وثب الثلاثة خارج الطائرة ، وتبعهم (ماكلوسكى) ، وهو يراجع الخطة فى ذهنه مرة أخيرة ..

وعندما انفتحت مظلاتهم ، راح الأربعة يهبطون إلى الجبال ، ولحقت بهم مظلة خامسة ، ارتبطت بصندوق كبير ، حوى كل أسلحتهم ومعداتهم ..

وكان الهبوط ناجحًا ، إلى أقصى حد ..

وبسرعة ، لملم الأربعة مظلات الهبوط ، وأسرعوا إلى الصندوق الكبير ، فأخرجوا منه كل أسلحتهم ومعداتهم ، وتلفّتوا حولهم فى حذر ، للتأكّد من أن أحدًا لم يرصد هبوطهم ، ثم قال (ماكلوسكى) ، وهو يشير بيده فى حزم :

ـ هيا .

كان الأربعة يتصرفون كمحترفين حقيقيين ، عندما حانت لحظة الجد ، فلقد انفصلوا إلى فريقين ، تحرّك كل منهما فى الاتجاه المطلوب ، وراحوا يتسلقون الصخور ، ويتجاوزونها ، ويقطعون طريقهم بمنتهى الخفة والسرعة ، على الرغم من وعورة التضاريس الجبلية ، فى تلك المنطقة ..

وطوال نصف ساعة كاملة ، لم يتبادل أحدهم كلمة واحدة مع رفيقه ، إلى أن توقّف (ماسياس) بغتة ، وتلفّت حوله فى توتر ، قائلاً :

ـ هناك من يراقبنا .

شحذت العبارة كل حواس (ماكلوسكى) ، فأرهف سمعه وبصره ، وأمسك مدفعه بكل قوته ، وتلفّت حوله بدوره ، وهو يسأله :

- لماذا قلت هذا ؟! هل رأيت شيئًا ما ، أو شخصًا ما ؟!

هزّ (ماسياس) رأسه نفيًا فى حزم ، وهو يقول :

- كلا .. ولكننى أشعر بهم .

انعقد حاجبا (ماكلوسكى) ، وهو يغمغم فى استنكار :

- تشعر بهم ؟!

أشار إليه (ماسياس) بيده ، وهو يدور حول نفسه فى حذر شديد ، قائلاً :

- نعم يا مستر (ماكلوسكى) .. إننى أشعر بهم .. لا تستهن بقولى هذا ؛ فبعد سنوات طوال من القتال فى الجبال ، تتكوّن لديك تلك الحاسة .. نعم .. إننى أشعر بهم .. أشعر بهم ..

ثم أطلق رصاصات مدفعه الآلى بغتة ، صارخًا :

- فى هذا الاتجاه .

صاح به (ماكلوسكى) :

- ماذا تفعل أيها المجنون ؟! ستكشف أمرنا .

ولكنه لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انهالت عليهما الرصاصات كالمطر ..

وهنا ..

هنا فقط ، أدرك (ماكلوسكى) أن (ماسياس) كان على حق ..

إن تلك الحاسة القتالية تتكوّن بالفعل ، ولكن .. بعد فوات الأوان ..

* * *

اعتدلت (سيرينا) بحركة حادة ، وأشارت بيدها إلى (باكنباه) ، قائلة فى عصبية :

- هل تسمع هذا ؟!

توقّف (باكنباه) ، وعدّل منظاره الداكن فوق أنفه ، وهو يقول :

- أسمع ماذا ؟!

أرهفت سمعها أكثر وأكثر ، قبل أن تقول فى عصبية زائدة :

- دوى رصاصات ..

التقى حاجباه ، وهو يقول فى دهشة :

- دوى رصاصات ؟!

أجابته فى حدة :

- نعم يا رجل .. هل أصابك الصمم أم ماذا ؟!

إنه دوى رصاصات واضح .. هناك قتال يدور فى مكان ما هنا .. يا إلهى ! أخشى أن ..

بترت عبارتها بغتة ، فأكملها هو هاتفًا :

- (ماسياس) ورجل المخابرات .. أليس كذلك ؟!

أمسكت سلاحها فى قوة ، قائلة فى حزم متوتر :

- أراهن على أنهما جزء من هذا .

بدا عليه التوتر الشديد ، وهو يسألها :

- ماذا تقترحين ؟!

التفتت إليه ، قائلة :

- دعنا نتجه إلى حيث يفترض تواجدهم الآن ، ثم ..

بترت عبارتها بغتة ، وتراجعت فى عنف ، صارخة :

- يا إلهى !

فجأة ، وبينما كانت تتطلع إلى (باكنباه) ، وتتحدث إليه ، اخترقت رصاصة عدسة منظاره الداكن ، وحطمتها ، ثم قطعت طريقها عبر عينه اليسرى ومخه ، وهشمت جمجمته ، لتخرج من مؤخرة رأسه ..

واستدارت (سيرينا) بمدفعها الآلى ، قبل حتى أن يسقط (باكنباه) جثة هامدة ، وراحت تطلق نيران مدفعها الآلى ، صارخة :

- لقد كشفوا أمرنا .. كشفوا أمرنا يا رجل المخابرات .

لم تنطلق خلفها رصاصة واحدة ، وهى تعدو عبر الصخور ، فتتجاوز بعضها ، وتقفز فوق البعض الآخر ، وتدور حول الصخور الكبيرة .

ولما لم تجد رد فعل لرصاصاتها ، التى تطلقها طوال الوقت ، قفزت تختفى خلف صخرة ضخمة ، وهى تلهث ، هاتفة :

- ما الذى ألقى بنا رجل المخابرات الوغد فيه ؟! أى فخ هذا الذى وضعنا داخله ؟! أى فخ ؟!

لهثت فى عنف ، وهى تتلفت حولها فى انزعاج بالغ ، و ...

وفجأة ، سقط شىء ما ، من قمة مرتفع صخرى قريب ، ليستقر بين قدميها ، فقفزت من مكانها ، وانحنت تلقى نظرة على ذلك الشىء ..

وبكل قوتها ، صرخت :

- يا للشيطان ! قنبلة .

وقفزت جانبًا بأقصى سرعة ..

ودوى الانفجار ..

انفجرت القنبلة اليدوية ، على مسافة متر واحد منها ، فانتزعتها من مكانها ، وألقت بها خمسة أمتار كاملة إلى الأمام ، قبل أن تسقط ، وترتطم بالصخور فى عنف ، وقد انغرست عشرات الشظايا والصخور الرفيعة فى جسدها ..

والعجيب أنها لم تلق مصرعها ، على الرغم من كل هذا ..

كانت الدماء تغطى جسدها كله تقريبًا ، وتسيل على عضلاتها البارزة القوية ، ولكنها صرخت ، بكل ما تبقى فى جسدها من قوة :

ـ أين قذفت بنا أيها الوغد (ماكلوسكى) ؟!

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى برز أمامها (لورانزو) ، وهو يصوّب مسدسه إلى رأسها ، قائلاً بالإنجليزية :

ـ إلى الجحيم مباشرة .

حدّقت فى وجهه لحظة ، ثم جذبت مدفعها الآلى ، صائحة :

ـ أيها الـ ....

ولكن رصاصة (لورانزو) لم تسمح لها بإتمام عبارتها ..

لقد أخرستها تمامًا ..

وإلى الأبد ..

★ ★ ★

« نفس المشهد السابق .. »

هتف (قدرى) بالعبارة ، فى انهيار تام ، وهو يحدّق فى طائرات الهليوكوبتر الحربية الثلاث ، ولكن (أدهم) أجابه فى حزم :

ـ خطأ يا صديقى .. هناك فارق جوهرى هذه المرة .

ودفع عصا القيادة إلى الأمام ، مكملاً :

ـ إننا نقود طائرة حربية هذه المرة .

انخفضت الهليوكوبتر بزاوية حادة ، جعلتها تعبر أسفل الطائرات الثلاث ، ثم لم تلبث أن ارتفعت على نحو بالغ الخطورة ، يحتاج إلى مهارة مدهشة ، وانطلقت رصاصاتها فى الوقت ذاته ، نحو إحدى الطائرات الثلاث ..

وتحطّمت المروحة الخلفية للهليوكوبتر ، التى أصابتها رصاصات (أدهم) ، فدارت حول نفسها فى عنف ، وراح قائدها يبذل قصارى جهده ، للسيطرة عليها ، وهو يصرخ ، عبْر جهاز اللاسلكى :

ـ لقد أصبت .. سأضطر للهبوط الاضطرارى .

تلقى زميلاه رسالته ، وهما يستديران بطائرتيهما ، لمواجهة طائرة (أدهم) ، وهما يطلقان نيرانهما نحوها فى غزارة ، ولكن (أدهم) ارتفع بالهليوكوبتر ، ومال بها ، حتى أصبحت تنطلق إلى أعلى ، فى وضع عمودى تمامًا ، ثم مال بها بغتة ، بحيث صارت مروحتها إلى أسفل ، واعتدل بسرعة مدهشة ، ليجده الطياران الآخران خلفهما تمامًا ..

وقبل أن يبتعدا عن مرماه ، كانت رصاصاته تنسف ذيل الطائرة الأولى ، وتضطر قائدها للحاق بزميله الأول ، فى حين انطلق الطيّار الثالث بأقصى سرعته ، محاولاً الفرار من مرمى النيران ، وهو يهتف ، عَبْر جهاز اللاسلكى :

ـ لا يمكننى مواصلة القتال .. الخصم شديد البراعة .. إننا لم نشاهد شيئًا مثله ، حتى فى أثناء تدريبات التماثل(*) .

(*) منذ اختراع أجهزة الكمبيوتر التماثلية ، التى يمكنها محاكاة الواقع بدقة مدهشة ، أصبح أسلوب تدريب الطيارين الجدد يعتمد على وضعهم فى حالة مماثلة تمامًا للطيران الحقيقى ، داخل مختبرات خاصة ، مزوّدة بأحدث أجهزة التماثل وأرقاها .

أتاه الجواب من القاعدة على الفور :

ـ عد إلى القاعدة فورًا ، ولا تشتبك مع الخصم .. نكرُر .. عد إلى القاعدة فورًا .

التقط (أدهم) الرسالة ، على نفس الموجة ، التى استقبلها عليها قائد الهليوكوبتر ، الذى لم يكد يسمع الأمر ، حتى انطلق هاربًا على الفور ، وكأنما لا يصدّق أنه نجا ، من خصم رهيب كهذا ، فهتف (قدرى) فى حماس :

ـ رائع يا صديقى .. لقد أجبرتهم على الانسحاب .

أجابه (أدهم) فى حزم ، وهو ينطلق نحو الجنوب الشرقى :

ـ الانسحاب ليس نهاية المعركة يا صديقى .. إنه حسم للجولة الأولى فحسب .

سألته (منى) فى اهتمام :

ـ ما الذى تتوقّع منهم فعله الآن ؟!

أجابها بسرعة ، وكأنما كان ينتظر سؤالها :

ـ سيرسلون طائرات مقاتلة .

انعقد حاجبا (جيهان) ، وهى تغمغم :

ـ يا إلهى ! لقد سئمت هذه الاشتباكات الجوية .

قال (أدهم) ، وهو ينطلق بالهليوكوبتر ، على ارتفاع منخفض للغاية :

- إننى أشاركك هذا الشعور ، لذا فسأحاول تفادى أية اشتباكات أخرى بقدر المستطاع .

سألته (منى) فى لهفة :

- وهل يمكننا هذا ؟!

أجابها فى حسم :

- المقاتلات ستنطلق بالطبع من أقرب مطار حربى ، وطبقًا للخرائط العسكرية لدينا ، فهو يقع على مسافة مائة كيلومتر شمالاً ، ولما كنا ننطلق على ارتفاع منخفض للغاية كما ترون ، وفى اتجاه الجنوب الشرقى ، فسيكون عليهم التحليق فى دائرة نصف قطرها مائتى كيلومتر ، حتى يمكنهم العثور علينا ، ومع قياس الفارق بين سرعتنا وسرعتهم ، فلن يمكنهم رؤيتنا عمليًا ، قبل ساعتين من الآن ، وفى هذه الأثناء سنكون قد بلغنا وكر السنيورا ، وبدأنا مهمتنا .. بل وانتهى الأمر أيضًا على الأرجح .

صمت لحظة ، ثم أضاف بلهجة صارمة .

- لصالحنا أو ... لصالحها .

نطقها فران على الهليوكوبتر صمت ثقيل مهيب ، وراحت تنطلق وسط سلاسل الجبال العالية ، نحو الموقع ، الذى سيشهد الجولة القادمة من الصراع ..

الجولة الحاسمة ..

والأخيرة .

* * *





وراحت تنطلق وسط سلاسل الجبال العالية ، نحو الموقع ، الذى سيشهد الجولة القادمة من الصراع ..

٧ ـ العمالقة ..

أدارت السنيورا عينيها فى بطء ، عبر الشاشات الأربع ، التى تنقل إليها صور مموّلى مشروعها النووى ، قبل أن تقول فى حزم واثق :

ـ أربع ساعات ونصف فحسب ، ويبدأ مشروعنا العملاق أيها السادة .. أربع ساعات ونصف فحسب ، وتنفجر قنبلتنا الأولى فى صحراء (أريزونا) ، ويدرك العالم أجمع أننا أصبحنا السادة الجدد .

قال الاسترالى فى توتر :

ـ ولكنك أبلغتنا مسبقًا بوجود تأخير ما .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ هذا صحيح ، ولكننى أجبرت الجميع على بذل المزيد من الجهد ، مما مكننا من تعويض التأخير ، بل وتحقيق تقدُّم مدهشٍ أيضًا .

قال الأمريكى فى تحفز :

ـ وماذا عن تلك المعلومات ، التى تشير إلى أن الأمريكيين قد توصلوا إلى معرفة المقر ؟!

أطلقت ضحكة عابثة طويلة ، قبل أن تجيب :

- دعهم يتوصلون إليه يا رجل .. لقد سحق رجالى منذ قليل محاولة أمريكية لبلوغ المقر ، وسيسحقون أية محاولة أخرى بنفس القوة .

هتف اليابانى مذعورًا :

- حديثك هذا يعنى أنهم قد توصلوا إلى المقر بالفعل .

وصاح الروسى :

- يا للشيطان ! إنها مصيبة .

انعقد حاجباها ، وهى تقول فى صرامة :

- لا توجد أية مصائب .. كلنا كنا نعلم أنهم سيتوصلون إلى مقرنا ، إن عاجلاً أو آجلاً .

قال الاسترالى فى عصبية :

- نعم ، ولكن ليس بهذه السرعة .. لقد كنا نتوقع حدوث هذا ، بعد أن يكتمل المشروع تمامًا .

أشارت بيدها فى صرامة ، قائلة :

- فلنفترض إذن أنه قد اكتمل .

سألها اليابانى فى حدة :

- هل سنبدأ مرحلة العيش فى الوهم ؟!

أجابته فى حدة مماثلة :

- بل سنبدأ مرحلة التعامل مع الواقع الفعلى .

والتقطت نفسًا عميقًا ، وهى تعتدل فى مجلسها ، مستطردة :

- لقد أرسلت إنذارًا بالفعل ، لكل دول العالم المتقدم ، أعلن فيه وجودنا ، وأطالبهم بالاعتراف بنا ، وبسيطرتنا على مقاديرهم ، وإلا قمنا بنسف عواصمهم كلها بلا رحمة ، بسلسلة من القنابل الذرية .

قال الأمريكى فى دهشة :

- ولكننا لم نمتلك تلك القنابل الذرية بعد .

أشارت إليه ، قائلة فى حدة :

- أنت تعلم هذا ، ولكنهم لا يعلمونه .

صمت الرجال الأربعة مبهوتين ، فى حين استعادت هى جزءًا من سيطرتها على أعصابها ؛ لتتابع :

- عندما يتلقون الإنذار ، سيتصوّرون أننا قد امتلكنا تلك القنابل النووية أو الذرية بالفعل ، وسيناقشون الأمر ، ويمحصونه ، ويفحصونه لعدة ساعات ، وقبل أن ينتهوا من هذا ، نكون نحن قد فجّرنا قنبلة صحراء (أريزونا) ، فلا يعود لديهم أدنى شك فى

جدية إنذارنا ، وسيبدءون فى التفكير على نحو آخر ، فى حين ننتج نحن باقى قنابلنا ، فى هدوء وسرعة .

ران الصمت بضع لحظات ، بعد أن انتهت من حديثها ، ثم غمغم اليابانى :

ـ فكرة عبقرية .

لم يكد ينطقها ، حتى اندفع الثلاثة الآخرون ، يتنافسون على إعلان استحسانهم للخطة ، حتى إن السنيورا تراجعت فى مقعدها ، وابتسمت فى ظفر ، وتألقت عيناها فى ثقة ..

ولكن العجيب أنه ، وعلى الرغم من هذا المظهر الواضح الثقة ، كان هناك خوف كامن فى أعماقها ، لم ينضب بعد ، على الرغم من انتصار رجالها الساحق علي (ماكلوسكى) وفريقه ..

خوف تركز كله عند رجل واحد ..

رجل يحمل لقبًا فريدًا ، فى عالم الأحياء ..

لقب (رجل المستحيل) ..

★ ★ ★

ظلّ (قدرى) صامتًا طوال الوقت ، والوجوم يطلّ من كل خلجة من خلجاته ، والسيارة التى طلبها

(أدهم) ، تنطلق به ، فى طريقها إلى مدينة (فيلامونتز) ، وراح عقله يسترجع عشرات الذكريات ، البعيدة والقريبة ..

استعاد ذكرى لقائه الأوّل مع (أدهم) ..

وصداقتهما ..

وظهور (منى) لأوّل مرة فى حياة (أدهم) ..

ورفضه المبدئى لوجود فتاة ، يمكن أن تشاركه مغامراته وعملياته الخاصة(*) ..

ثم حبه لها ..

وإصابتها الأولى(**) ..

ثم قفزت به الذكريات دفعة واحدة إلى إصابتها الأخيرة(***) ..

وإلى ظهور (جيهان) فى حياة (أدهم)(****) ..

ذكريات طويلة عديدة ، مرقت فى ذهنه كالسهم ،

(★) راجع قصة (الاختطاف الغامض) .. المغامرة رقم (١) .

(★★) راجع قصة (حلفاء الشر) .. المغامرة رقم (١٢) .

(★★★) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

(★★★★) راجع قصة (الإعصار الأحمر) .. المغامرة رقم (١٠٤) .

قبل أن يتوقَّف عند تلك المغامرة الأخيرة ، التى تعقدت فيها الأحداث ، وتشابكت ، على نحو لم يسبق له مثيل ..

المغامرة التى انتهى دوره فيها تقريبًا ، عندما غادر الهليوكوبتر ، ليستقل تلك السيارة ، فى حين انطلق بها (أدهم) مرة أخرى ، مع (منى) و(جيهان) ، و(بترو) ، فى طريقهم إلى وكر الأفعى ..

وإلى المواجهة الأخيرة ..

سرت فى جسده قشعريرة باردة ، عندما سرى فى عقله هذا المصطلح ، ووجد نفسه يتساءل فى قلق شديد : أهى المواجهة الأخيرة حقًّا ؟!

هل سيتم حسم الأمر بالفعل ، فى قلب جبال (فيلامونتز) ؟!

ولو تم هذا بالفعل ، فلمن يكون النصر ؟!

لمن ؟!

وعند هذا السؤال الأخير بالتحديد ، تحوَّلت قشعريرته إلى انتفاضة قوية ، ارتج معها جسده الضخم كله ، وتحوَّلت أفكاره الصامتة إلى كلمة واحدة مسموعة ، وهو يتمتم :

ـ يا رب ..

نطقها بكل القلق والخشوع ..

والخوف ..

الخوف من مواجهة رهيبة ، يعلم اللّه (سبحانه وتعالى) وحده متى يتمّ حسمها ..

وكيف ؟!

★ ★ ★

« إننا نتجه الآن نحو وكر السنيورا مباشرة ، وينبغى أن تعلموا أن المواجهة لن تكون سهلة أبدًا .. »

ألقى (أدهم) عبارته فى حزم ، وهو يواصل الانطلاق بالهليوكوبتر ، على ارتفاع منخفض للغاية ، وسط جبال (فيلامونتز) ، فاستمع إليه الجميع فى انتباه ، وهو يتابع :

ـ من المؤكد أن السنيورا ستحيط وكرها بكل أنواع الحراسة والرصد الممكنة .. ستكون هناك أجهزة رادار متقدِّمة ، لرصد أى هجوم جوى ، ونقاط مراقبة ، تستخدم التصوير بالفيديو ، ومراقبون بشريون ، ووحدة دفاع جوى ، مزوَّدة بالصواريخ الموجَّهة ، وأسلاك شائكة ، أو مكهربة ، وجنود ، ورجال

حراسة .. باختصار ، علينا أن نتوقَّع كل الوسائل الدفاعية والهجومية الممكنة ، فهى لن تسمح لأحد بالاقتراب من وكرها ، مهما كان الثمن .

لم يفهم (بترو) حديث (أدهم) ، ولكنه أدرك أنه يتحدَّث عن المهمة القادمة ، فسأل فى اهتمام بالغ :

- ما الدور الذى ستسنده إلىَّ يا (أومو بيليجروسو) ؟!

أجابه (أدهم) ، وهو يرتفع بالهليوكوبتر ، ليتجاوز مانعًا صخريًّا متوسِّط الارتفاع :

- لم يتمّ توزيع الأدوار بعد يا (بترو) .. صحيح أننا نعرف موقع وكر السنيورا ، ولكننا لم نحدِّد طبيعته بعد .. تمسَّك بالصبر يا رجل ، فلن تتأخَّر المواجهة كثيرًا ، إننا سوف ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، ويواصل الارتفاع بالهليوكوبتر ، أكثر مما ينبغى ، فاعتدلت (جيهان) ، تسأله فى قلق :

- ماذا هناك ؟!

أجابها فى حزم :

- من الواضح أننا قد اقتربنا كثيرًا من الهدف ؛ فهناك طاقم حراسة ، على قمة ذلك المرتفع الصخرى ، مزوَّد بمدفع مضاد للطيران .

هتفت (منى) :

- حقًّا ؟! لماذا ترتفع بالهليوكوبتر إذن ؟!

أجاب فى قوة :

- حتى نبدو أشبه بدورية طيران تقليدية .

قالت (جيهان) فى قلق :

- ولكن هذا يجعلنا فريسة سهلة ، لأجهزة الدفاع الجوى .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم قال فى حزم :

- لا يمكنك أن تأكل لحم البقرة ، وتشرب لبنها فى الوقت ذاته .. لابد أن نخاطر فى أحد الاتجاهين ، حتى نأمن شر الجانب الآخر .

تمتمت (جيهان) فى عصبية :

- أتعشَّم أن يفيد هذا .

لم يعلِّق (أدهم) على عبارتها مباشرة ، وإنما لاذ بالصمت لبعض الوقت ، قبل أن يشير بيده ويقول فى لهجة قوية حازمة ، تشوبها رنة توتر خفية :

- انظروا ..

انتقلت أبصارهم بحركة آلية إلى حيث يشير ، وتجهَّمت وجوههم ، وهم يتطلعون إلى ذلك الوكر النووى الرهيب ، الذى يختفى وسط صخور الجبل ..

كان أشبه بمصنع كبير ، يتكوَّن من مبنى من طابقين ، إلى جوار مبنى مستدير ، له قبة واسعة عالية ، يحيط به سور من الأسلاك الشائكة السميكة ..

وعلى سطح المبنى الأوَّل ، بدت وحدة صواريخ مضادة للطائرات ، وإلى جوارها رادار كبير ، من المؤكَّد أنه قد رصد الهليوكوبتر ، وأبلغ المسئولين عن وحدة الصواريخ ، والذين ارتفع صوت أحدهم ، من جهاز الاتصال اللاسلكى فى الهليوكوبتر ، وهو يقول فى صرامة ، وبلغة إسبانية :

- إلى الهليوكوبتر الحربية (تى - إم - ١٧) .. أنت الآن داخل مجال جوى خاص غير مسموح لك بالتواجد فيه .. غادر المجال على الفور ، وإلا ستتعرَّض لأجهزة الدفاع الجوى الخاصة بنا .. أكرِّر .. أنت الآن داخل مجال جوى محظور ..

ضغط (أدهم) زر الاتصال ، وهو يقول بصوت أجش :

- تلقينا الإشارة ، ونحن فى سبيلنا لمغادرة المنطقة المحظورة .

هتفت (جيهان) :

- يا للأوغاد ! إنهم يتصرفون كما لو أن لهم الحق فى التواجد هنا .

واصل (أدهم) ابتعاده عن الوكر ، وهو يقول :

- ما دمنا نتعامل مع السنيورا ، فلا تجعلى هذه الصفاقة تدهشك .

سألته (منى) ، وهى تعدّ مدفعها الآلى للعمل :

- ما الذى تخطِّط له بالضبط ؟!

أجابها ، وهو يعاود الانخفاض بالهليوكوبتر ، إلى مستوى تعجز فيه أجهزة الرادار عن رصده :

- السنيورا لا تتوقَّع هجومًا جويًّا بالتأكيد ، فهى تعلم أن الجميع يدركون مدى خطورة قصف مفاعل نووى بالصواريخ ؛ لذا فستركِّز كل جهودها على التصدِّى لمحاولات الهجوم البرية ، بما فى هذا محاولات الإبرار الجوى .. وكل ما علينا أن نفعله هو أن نسدِّد إليها ضربتنا ، من حيث لا تتوقَّع .

سألته (منى) فى اهتمام :

- كيف ؟!

دار بالهليوكوبتر فى براعة مدهشة ، بين سلاسل الجبال ، على هذا الارتفاع المنخفض للغاية ، وهو يقول :

(١٣ - رجل المستحيل (١٢٧) الصاعقة الجبال)

- استمعوا إلىَّ جيدًا ، فسأخبركم بما ينبغى علينا فعله .

وفى سرعة ودقة مدهشتين ، راح يشرح خطته ، باللغتين العربية ، والبرتغالية ..

والمدهش أنها ، وعلى الرغم من بساطتها ، كانت خطة دقيقة بارعة ..

خطة قد تنجح فى إحداث التأثير المطلوب ..

وفى اختراق وكر السنيورا ..

ولكن لا أحد يدرى ما الذى يمكن أن يحدث بعدئذ ..

لا أحد ..

* * *

« من نقطة المراقبة الخامسة إلى القاعدة .. لم يتم رصد أية وحدات هجومية أخرى ، وكل شىء يسير على ما يرام .. »

أنهى أحد رجال السنيورا رسالته هذه ، من فوق إحدى المرتفعات الصخرية ، على مسافة كيلومتر واحد من القاعدة ، والتفت إلى رفاقه الأربعة ، الذين استرخوا فوق الصخور ، وقال ملوّحًا بكفه :

- من الواضح أننا قد صرنا قوة لا يستهان بها

يا رفاق .. لا أحد يجرؤ على الاقتراب منا ، بعد أن أبرزت سنيورتنا أنيابها ، وأرسلت تحذيرها إلى العالم أجمع .

قهقه أحدهم ضاحكًا ، وقال :

- هذا ما كنا ننتظره منذ البداية يا رجل .

التقط الأوّل نفسًا عميقًا من هواء الجبل ، قائلاً :

- يلوح لى أننى أشمّ رائحة الانتصار يا رجال .. ستتدفق علينا الدولارات كالسيل ، كما وعدتنا السنيورا .

هتف ثالث فى حماس ، وهو يلوّح بمدفعه الآلى :

- تحيا زعيمتنا الظافرة ..

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أشار إليه الأوّل بالصمت بغتة ، وأمسك مدفعه الآلى فى قوة ، وهو يقول فى توتر :

- مهلاً ..

انتقل توتره فى لحظة واحدة إلى الجميع ، وسأله أحدهم فى عصبية :

- ماذا حدث ؟!

أجابه الأوّل ، وهو يتلفّت حوله فى توتر :

ـ ألا تسمع يا رجل .. إنه صوت هليوكوبتر تقترب من بعيد ، أو ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفعت الهليوكوبتر فجأة أمامه ، من خلف المرتفع ، فتراجع هاتفًا فى ذعر :

ـ يا للشيطان !

قبل حتى أن يكتمل هتافه ، أو يدير رفاقه فوهات مدافعهم الآلية نحو الهليوكوبتر ، كان (بترو) يقفز منها ، وينقضّ عليهم جميعًا ، وهو يطلق صرخة مخيفة ، انتفضت معها عروقهم ، وانخلعت لها قلوبهم ، و (بترو) يطيح بهم ، فى أسلوب تمت دراسته مسبقًا .. ولم تتوقف الهليوكوبتر لرؤية العملاق الأسود ، وهو يهشّم فك أحدهم ، ويحطم رأس الثانى ، ويسحق أنف الثالث ، قبل أن يلقى الأخيرين من قمة المرتفع الصخرى ، وهما يطلقان صرخة هائلة ..

لقد أنهت الهليوكبتر مهمتها بإنزاله فى ذلك الموقع ، وعادت تنخفض فى سرعة ، قبل أن ترصدها أجهزة الرادار فى وكر السنيورا ، وانطلقت مرة أخرى عبر الجبال والمرتفعات الصخرية ؛ لتتم الجزء الخاص بها من الخطة ..

وفى نفس اللحظة ، التى أنهى فيها (بترو) مهمته ، على قمة المرتفع الصخرى ، وانطلق فى خفة حذرة ، ليتمّ عمله ، كان أحد رجال المراقبة ، يسأل (لورانزو) ، عند أقرب المواقع إلى وكر السنيورا :

ـ سنيور (لورانزو) .. لماذا لم نتلق تقريرًا من الموقعين اثنين وأربعة ؟!

انعقد حاجبا (لورانزو) ، وهو يقول :

ـ كيف هذا ؟! المفترض أن نتلقى تقارير منتظمة ، من كل موقع ! قالها ، وانهمك فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن يشير إلى الرجل ، قائلاً فى حزم :

ـ اتصل بالمواقع الأربعة ، واطلب من كل موقع تحديد موقفه على الفور .

أجرى الرجل اتصالاته فى سرعة ، ثم رفع إليه وجهًا مختقنًا ، وهو يقول فى توتر :

ـ سنيور (لورانزو) .. كل المواقع لا تستجيب للنداء .

هتف (لورانزو) فى عصبية :

ـ لا تستجيب .

ثم جذب مدفعه الآلى فى حزم ، هاتفًا :

ـ اتصل بالسنيورا على الفور ، وأبلغها أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفعت هليوكوبتر (أدهم) أمامه فجأة ، وانقضت عليه وعلى رجاله فى سرعة ، فصرخ ، وهو يصوّب إليها مدفعه الآلى :

ـ اللعنة ! إنه هجوم .

قبل أن تنطلق من مدفعه رصاصة واحدة ، كانت الهليوكوبتر تغمره ورجاله بالرصاصات ، فوثب من المرتفع الصخرى ، صائحًا :

ـ خيانة يا سنيورا .. خيانة !

تدحرج جسده فوق الصخور ، وسمع دوى رصاصات الهليوكوبتر يتردّد فوقه ، ممتزجًا بصراخ رجاله ، قبل أن تتجاوزهم الهليوكوبتر ، وتنقض على وكر السنيورا مباشرة ، دون أن تتوقّف عن إطلاق رصاصاتها ..

وفى حجرتها ، انتفضت السنيورا فى عنف ، مع دوى الرصاصات ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تثب لتضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، هاتفة :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟! ما الذى يحدث بحق الشيطان ؟!

أتاها صوت أحد رجالها ، يهتف فى توتر بالغ :

ـ إننا نتعرَّض لهجوم جوى يا سنيورا ..

شهقت هاتفة فى ذهول :

ـ هجوم جوى ؟!

كان من الطبيعى أن يذهلها هذا ، فى تلك الظروف بالذات ، فطبقًا لكل قواعد العقل والمنطق ، لم يكن من الممكن أبدًا أن تتعرَّض لهجوم جوى ، بعد أن أطلقت إنذارها للعالم أجمع ، وبعد أن علم الجميع أن لديها مفاعلاً نوويًّا ، ينتج القنابل الذرية ..

بل وبعد أن أقنعت الجميع بأن لديها بالفعل بعض القنابل الذرية ، فى قلب العواصم الكبرى فى العالم ، وأن هذه القنابل كلها معدَّة للتفجير فى أية لحظة ..

إنها تعلم جيدًا أسلوب تفكير السياسيين ، فى مثل هذه الأمور ..

لقد تعمَّدت ترك أثر واضح خلفها ، وهى تحصل على البلوتونيوم ٢٣٩ من (روسيا) ، وعلى الماء الثقيل من (باكستان) وتصرَّفت على نحو بالغ الوضوح ، وهى تختطف فريق العلماء ، من كل مكان فى العالم ، حتى يدرك الجميع منذ البداية ، أنها تسعى لإنتاج القنابل الذرية ..

وعندما أطلقت إنذارها ، كانت تدرك أن أول ما سيتبادر إلى أذهانهم ، هو أنها قد أنتجت تلك القنابل بالفعل ..

ومن المنطقى والطبيعى ، أن يدفعهم هذا لتلقى إنذارها بمنتهى الجدية والاهتمام ..

وأن يتعاملوا معه ومعها بمنتهى الحذر ..

لا أن يطلقوا قواتهم الجوية خلفها على الفور !

هذا يتعارض مع كل القواعد السياسية ..

يتعارض بشدة ..

ولكنها لن تضيع الوقت فى استنكار ما يحدث ، والدهشة منه ..

ستتعامل مع هذا الهجوم الجوى على الفور ..

وبأعنف ما يمكن ..

وبكل غضبها وصرامتها ، هتفت عبر جهاز الاتصال الداخلى :

ـ أطلقوا الصواريخ الموجّهة نحو الطائرات المهاجمة على الفور .

صاح بها رجلها فى عصبية :

ـ ليست طائرات يا سنيورا .. إنها طائرة واحدة .. طائرة هليوكوبتر حر ..

قبل أن يتمّ عبارته ، دوى انفجار عنيف ، ارتج له المكان كله ، فصرخت :

ـ ماذا حدث هنا ؟!

صاح الرجل فى ذعر ملحوظ :

ـ لقد نسفوا وحدة الرادار يا سنيورا .

تفجّرت براكين الغضب فى عروقها ، وهى تصرخ :

ـ أطلقوا الصواريخ الموجّهة .. انسفوا تلك الهليوكوبتر نسفًا .

قالتها ، وانطلقت تعدو خارج حجرتها ، حتى بلغت تلك الحجرة ، التى تدير منها الموقع كله ، وضغطت زر شاشات الرصد ، التى تنقل إليها كل ما يحدث ، خارج وداخل المكان ، وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تتطلّع إلى المشهد ، الذى تنقله إحدى الشاشات الخارجية ، للطائرة الهليوكوبتر الحربية ، وهى تدور حول نفسها ، ثم تنقضّ مرة أخرى ، لتطلق رصاصاتها نحو فرقة من رجالها ، انطلقت تعدو فى ساحة المبنى ..

ثم انطلق أحد الصواريخ الموجّهة خلف الهليوكوبتر ..

وهتفت هى فى انفعال :

- لن يمكنك الإفلات من هذه الصواريخ الموجَّهة يا قائد الهليوكوبتر .

كانت عبارتها صحيحة إلى حد كبير ، فمع ذلك الطراز من الصواريخ ، التى يتمّ توجيهها بأجهزة التحكم عن بعد ، وبوساطة طاقم من المحترفين ، كانت احتمالات النجاة منها تنخفض إلى ما يقرب من واحد فى الألف ..

إذا ما كان الطيّار شديد البراعة ..

ولم يكن هذا الأمر يخفى ، بالنسبة لـ (أدهم صبرى) ..

لقد رأى الصاروخ ينطلق نحوه ، فارتفع بالهليوكوبتر بغتة ، ودار بها إلى اليسار ، وانخفض مرة أخرى ، ثم انطلق إلى الأمام ، والصاروخ يتبع كل تحركاته ، ويطارده فى إصرار ..

كان أمرًا أشبه بألعاب الفيديو ، التى يمارسها الصغار على الشاشة ..

صاروخ يطارد هليوكوبتر ، ويتبع مسارها ، مهما راوغت وناورت ..

وفى سرعة مدهشة ، دار (أدهم) بالهليوكوبتر

مرة أخرى ، ثم ارتفع بها ، وانخفض ، ومال يمينًا ويسارًا ، قبل أن ينخفض أكثر وأكثر ، وهو ينقضّ على المبنى ذى الطابقين مباشرة ..

وانعقد حاجبا السنيورا فى شدة ، وهى تتابع تلك المناورة المعقّدة ، وتمتمت شفتاها ، دون وعى منها :

- مستحيل ! ذلك الشخص ، الذى يقود الهليوكوبتر بارع إلى درجة مذهلة !! يا للشيطان ! أمن الممكن أن ..

قبل أن تتم عبارتها ، كان (أدهم) ينحرف بالهليوكوبتر بغتة ، قبل أمتار قليلة من بلوغ المبنى ، ثم يدور بها بزاوية مخيفة ، حتى إن مروحتها الكبيرة كادت ترتطم بسطح المبنى بالفعل ..

وبنفس سرعة دورانه ، وبوساطة محترفى التوجيه عن بعد ، مال الصاروخ ليواصل مطاردته ، و ...

ولكن هؤلاء الخبراء فشلوا فى منحه زاوية الدوران الصحيحة ، بهذه السرعة المدهشة .. ومال الصاروخ درجتين مئويتين فحسب ..

ومع الاقتراب الشديد ، كان لهاتين الدرجتين أثر مدهش ..

لقد اقترب الصاروخ أكثر وأكثر من سطح المبنى ..

وارتطم به ..

وانفجر ..

انفجر عند السطح ، وطاح بجزء كبير من زاوية المبنى ، فى نفس الوقت الذى انطلقت فيه الهليوكوبتر مبتعدة ، ومتفادية شظايا الانفجار ، قبل أن تعاود الانقضاض مرة أخرى على المبنى والساحة الكبيرة ، التى تفصله عن المفاعل النووى ..

وانعقد حاجبا السنيورا أكثر وأكثر ، وهى تتمتم :

ـ مستحيل ! رجل واحد فقط ، يمكنه أن يفعل هذا .. رجل وا ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، استقبلت أجهزة الاتصال اللاسلكى لديها ضحكة ساخرة عالية ، لم تكد تسمعها ، حتى انتفض جسدها كله فى عنف ، وصرخت بكل ما يعتمل فى كيانها :

ـ إنه هو .

أتاها صوت (أدهم) ، وهو يقول بالأسبانية :

ـ مرحى يا سنيورتى العزيزة .. ها نحن أولاء نلتقى مرة أخرى .

قالها ، وهو يلقى كومة ضخمة من القنابل ، عند المبنى ذى الطابقين ، والساحة الملحقة به ..

وتفجّرت كل تلك القنابل دفعة واحدة ، وانطلقت منها أطنان من الدخان الكثيف ، والسنيورا تصرخ ، عبْر كل أجهزة الاتصال :

ـ حالة طوارئ قصوى .. فليتخذ كل موقعه على الفور .. أطلقوا صاروخين موجهين نحو الهليوكوبتر .. بل ثلاثة صواريخ دفعة واحدة .

وعبْر أجهزة الاتصال اللاسلكى ، استقبل (أدهم) ذلك الأمر أيضًا ، فدار بالهليوكوبتر دورة قصيرة ، وهو يغمغم :

ـ أعتقد أن الساحة صارت معدّة للقتال بالفعل .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلقت خلفه الصواريخ الثلاثة الموجّهة ..

وكانت النتيجة محسومة هذه المرة ..

ربما كانت براعته المدهشة قادرة على مراوغة صاروخ موجّه ، بكل من خلفه من خبراء ، وما خلفه من أجهزة توجيه دقيقة ..

أما بالنسبة لثلاثة صواريخ دفعة واحدة ، فالنتيجة محسومة مسبقًا ..

لن يمكن أن تنجو الهليوكوبتر ..
لن يمكنها أن تنجو أبدًا ..
مهما فعلت ..

★ ★ ★

لم تكد قنابل الدخان تنفجر ، فى ساحة المبنى وداخله ، وتغمر المكان بسحبها الكثيفة ، حتى هتفت (جيهان) ، من فوق القمة ، التى تطلّ على الوكر مباشرة :

ـ الآن .

وفى لحظة واحدة تقريبًا ، أطلقت هى و (منى) خطافين قويين ، من بندقيتين خاصتين ، فانطلق كل خطاف ، جاذبًا خلفه حبلًا قويًا ، حتى انغرس فى ذلك المبنى ، الذى غمره الدخان ..

ودون أدنى تردُّد ، وبتعاقب مدهش ، قفزت كل منهما من القمة ، متعلِّقة بخطاف معدنى آخر ، وانزلق جسداهما مع درجة ميل الحبل ، فى سرعة مدهشة ، حتى بلغتا ذلك المبنى ، وسط الدخان ، الذى أعمى عيون الجميع ، فصاحت (جيهان) :

ـ هجوم يا (منى) .. تذكَّرى أن (أدهم) يعتمد علينا .

صاحت بها (منى) ، وهى تحمل مدفعها الآلى ، مرتدية قناعًا واقيًا من الغازات ، وتثب نحو إحدى نوافذ المبنى :

ـ تذكرى أنتِ يا (جيهان) ؛ فأنا الأعلى رتبة .

ومع آخر حروف كلماتها ، اقتحمت النافذة فى عنف ، وهبطت داخل الطابق الثانى من المبنى ، ولحقت بها (جيهان) ، عبر نافذة أخرى ..

ودون إضاعة لحظة واحدة ، انطلقت رصاصاتهما تحصد كل من يعترض طريقهما ..

وانطلقتا عبر المبنى كله ، فى طريقهما إلى الطابق الأرضى ..

وفى الوقت نفسه تقريبًا ، كان (بترو) ينقضّ على الرجال ، الذين أغشى الدخان الكثيف عيونهم فى الساحة ..

وعلى الرغم من إصابته ، والقناع الذى يغطى وجهه ، والذى لم يألفه من قبل قط ، كانت قبضته تجد طريقها إلى الرجال فى سهولة ، فتحطِّم أنف هذا ، وتسحق فك ذاك ، وتكسر رأس ثالث ، أو رابع ، أو خامس ..



ومع آخر حروف كلماتها ، اقتحمت النافذة فى عنف ، وهبطت داخل الطابق الثانى من المبنى ..

ولكن السنيورا لم تكن تهتمّ بمـا يحدث فى المبنى أو الساحة ..

لم يكن يعنيها سوى ما يحدث هناك ..

فى سماء (فيلامونتز) ..

كانت بكيانها كله تتابع هليوكوبتر (أدهم) ، التى أطلقت خلفها ثلاثة من صواريخها الموجّهة فى آن واحد ..

وعلى الرغم من ثقتهـا الشديدة ، فى أن نجـاة الهليوكوبتر من هذه الباقة من الصواريخ أمر مستحيل ، إلا أن قلبها راح يخفق فى سرعة وعنف ، وهى تتابع ما يحدث على الشاشة ، مغمغمة :

ـ هيا .. انسفوه .. اسحقوه سحقًا ..

كان جسدها كله ينتفض ، من فرط الانفعال ، وهـى تتابع الهليوكوبتر ، التى دارت حول نفسها ، وانخفضت على نحو مدهش ، ثم عـادت ترتفـع فـى سرعة ، والصواريخ الثلاثة تتبعها فى إصرار ..

ثم رأت الهليوكوبتر تنقضّ على المبنى ، كما فعلت فى المرة السابقة ، فضمّت قبضتها ، هاتفة فى حدة .

ـ لا يا (أدهـم) .. مستحيل ! ليس فى كل مـرة تسلم الجرّة .

كانت الهليوكوبتر تتجه نحو المبنى مباشرة ، والصواريخ الثلاثة تتبعها بسرعة مذهلة ..

ثم لحقت بها كلها فى آن واحد ..

وصرخت السنيورا بكل مشاعرها :

ـ اسحقوه .

ومع آخر حروف كلماتها ، دوى الانفجار الرهيب ..

الانفجار الذى سحق الهليوكوبتر الحربية ..

سحقًا .

* * *



٨ ـ الجولة الأخيرة ..

من المؤكَّد أن (منى) و (جيهان) ، كواحدتين من أفضل من عملن فى المخابرات العامة المصرية ، وفى إدارة العمليات الخارجية الخاصة بالتحديد ، قد تلقيتا أفضل تدريبات ممكنة ، بالنسبة لعمليات الاقتحام ، والمواجهة المباشرة ، مع أعنف وأقوى العناصر الإرهابية أو العسكرية ..

ومن المؤكَّد أيضًا أن تلك العقاقير البدائية ، التى تناولتها (منى) ، منذ بضع ساعات ، قد أتت ثمارها على نحو مدهش ، فقد كانت تتحرَّك إلى جوار (جيهان) ، بنفس السرعة والخفة والنشاط ، وكأنما زالت عنها إصاباتها السابقة تمامًا ، واستعادت كل حيويتها ونشاطها كاملين ..

وربما كان هذا هو السر ، فى أنهما راحتا تشقان طريقهما بسرعة مدهشة ، وسط رجال السنيورا ، الذين أعمتهم سحب الدخان ، وأربكهم ذلك الهجوم

المباغت ، الذى أكدت لهم رئيستهم أنه لن يحدث أبدًا ، بعد أن وجّهت إنذارها إلى العالم بالفعل ..

ولعل هناك سببًا آخر ، لتخاذل رجال السنيورا ، فى تلك اللحظات العنيفة ..

فالقتال من أجل مبدأ ما ، يختلف حتمًا عن القتال من أجل المال ..

مهما بلغت ضخامة هذا المال ..

فالمقاتل من أجل المبدأ ، لا يقلقه كثيرًا أن يموت أو يحيا ، وإنما يعنيه فحسب أن ينتصر مبدؤه ..

أما المقاتل من أجل المال ، فهو يدرك جيدًا أنه لابد أن يظلّ على قيد الحياة ، حتى يمكنه إنفاق هذا المال ..

والفارق واضح جلى ..

وشديد الأهمية ..

والخطورة ..

فالرجال الذين التفوا حول السنيورا ، والذين قاتلوا طوال الوقت ، بكل العنف والشراسة ، كانوا يقاتلون بافتراض واحد فحسب ..

أنهم سينتصرون على طول الخط ..

وسيحصلون على المال ..

ومعه على كل متع الدنيا ..

لذا ، فقد انهارت قلوبهم ، مع أول لمحة للهزيمة ..

ومع أول احتكاك مع عمالقة حقيقيين ..

عمالقة الجبال ..

ومع ذلك المزيج من الدخان ، ودوى الرصاصات ، والرءوس التى تحطمها قبضتا (بترو) ، الذى استغلّ سحب الدخان ، ليقفز عبر البوابة الضخمة إلى الساحة ، انطلق مرتزقة السنيورا نحو هدف واحد ..

أن ينجو كل بحياته ..

ولكن (منى) و(جيهان) لم يسمحا لمعظمهم بهذا ..

لقد شقا طريقهما حول الطابق الأرضى برصاصات مدفعيهما ، حتى أوقعت (جيهان) بأحد رجال السنيورا ، وهوت بكعب مدفعها على معدته ، ثم ركلته فى فكه ، عندما انثنى من فرط الألم ، وانقضت تحيط عنقه بساعدها فى قسوة ، هاتفة :

ـ أين السنيورا ؟! أين قائدتكم ؟!

كان الرجل يختنق ، ويشعر بذعر هائل ، ولكنه لوّح بذراعيه ، صائحًا :

- لست أدرى .. أقسم إننى لست أدرى .

صاحت به (جيهان) :

- أين سنيورتكم أيها الوغد ؟! أخبرنى وإلا حطمت عنقك !

ضرب الرجل الهواء بذراعيه ، وجحظت عيناه فى شدة ، وهو يقاتل لالتقاط بعض أنفاسه ، وهو يقول :

- أقسم لك إننى أجهل هذا .. كلنا نجهله .. قلائل هم من التقوا بها شخصيًا .. إننا نتلقى التعليمات من طاقمها ، أو عبر مكبرات الصوت الداخلية فحسب .. أقسم لك .

هتفت (جيهان) فى حنق :

- تلك اللعينة تجيد المحافظة على سريتها للغاية .

صاحت بها (منى) :

- أسرعى يا (جيهان) .. (أدهم) طلب منا ألا نبقى داخل هذا المبنى أكثر من ست دقائق .

قالت (جيهان) ، وهى تهوى على مؤخرة عنق الرجل بلكمة قوية :

- فليكن .

وانطلقتا تعدوان مرة أخرى نحو المخرج ، وقد

انخفض تواجد رجال السنيورا إلى الحد الأدنى ، و ..

وفجأة ، وقبل بلوغهما المخرج بعدة أمتار ، دوى انفجار هائل ..

وارتجّ المبنى كله فى عنف شديد ..

ثم راحت أجزاء منه تنهار على نحو مخيف ..

وبكل ذعرها ولوعتها ، هتفت (منى) :

- يا إلهى ! (أدهم) .. هل ..

دفعتها (جيهان) أمامها فى قوة ، قبل أن تكمل عبارتها ، وهى تهتف فى عصبية :

- فيما بعد .. فيما بعد ..

اندفعتا خارج المبنى فى اللحظات الأخيرة ، قبل أن ينهار نصفه دفعة واحدة ، بدوى رهيب ، وتتصاعد مع انهياره سحب هائلة من الغبار والدخان ..

وعلى الرغم من القناع الواقى ، الذى يخفى وجهها سعلت (منى) فى قوة ، هاتفة :

- رباه ! أخشى أن يكون (أدهم) قد ..

قاطعتها (جيهان) فجأة ، وهى تقول فى انفعال :

- (منى) .. انظرى هناك .

أدارت (منى) عينيها إلى حيث تشير (جيهان) ،

وانعقد حاجباها في شدة ، وهى تتطلع ، عبر سحب الغبار والدخان الكثيفة إلى ما بدا وكأنه مبنى صغير من طابقين ، كان يختفى خلف ذلك المبنى المنهار ، وقالت في عصبية :

- ما هذا بالضبط ؟!

جذبتها (جيهان) ، قائلة فى حزم :

- يبدو لى أشبه بمركز قيادة .

رددت (منى) ، وهى تعدو إلى جوارها نحو ذلك المبنى :

- مركز قيادة ؟!

أطلقت (جيهان) رصاصات مدفعها الآلى فى غزارة ، وهما تندفعان نحو ذلك المبنى ، على الرغم من أن سحب الدخان والغبار كانت تمنعهما من رؤية ما إذا كان هناك طاقم حراسة حوله أم لا ..

وعندما بلغتا المبنى ، هتفت (منى) :

- أنت على حق يا (جيهان) .. إنه يبدو أشبه بمركز قيادة بالفعل .

اندفعتا تقتحمان المكان فى قوة وعنف ، وانطلقت رصاصاتهما فى كل اتجاه ، حتى انتبهتا ، لدهشتهما ، إلى أن المكان كان خاليًا تمامًا ..

وداخل تلك الحجرة ، التى تحوى كل شاشات الرصد ، وقفتا تديران عيونهما فيما حولهما فى انبهار ، قبل أن تهتف (جيهان) :

- رباه ! إنه ليس مجرد مركز قيادة تقليدى فحسب .. إنه تحفة ، على أى مقياس تكنولوجى عسكرى .

وقالت (منى) فى انفعال :

- كيف أمكنها بناء كل هذا ، فى قلب الجبال ؟!

هزت (جيهان) رأسها ، مجيبة :

- (أدهم) على حق .. إنها تتلقى تمويلاً رهيبًا ، من مكان ما .

ثم اندفعت تغادر تلك الحجرة ، مستطردة فى حزم :

- أراهن على أننا سنجد المزيد ، فى باقى حجرات المبنى .

راحتا تفحصان الحجرات فى سرعة ، حتى بلغتا حجرة السنيورا الخاصة ، فهتفت (جيهان) فى انبهار :

- انظرى .. تلك الأفعى أحاطت نفسها بكل وسائل الرفاهية والفخامة .. هل رأيت هذا الفراش يا (منى) ؟!

ولما لم تتلق جوابًا ، التفتت إليها ، هاتفة :
ـ منى .. هل ..
ولكنها بترت سؤالها بغتة ، قبل أن تكمله ، وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تحدق فى الصورة الكبيرة ، التى تحدق فيها (منى) فى انفعال شديد ..
صورة تلك المرأة الفاتنة ، التى تحتل مساحة ضخمة من الجدار ، على نحو يوحى بأن صاحبتها تعانى نرجسية هائلة لا مثيل لها ..
المرأة التى يؤكد كل من عرفها ، أنها أجمل وأشرس وأعنف وأقسى امرأة عرفها التاريخ ..
صورة (سونيا) ..
(سونيا جراهام) ..

★ ★ ★

عندما أطلقت السنيورا صرختها ، داخل مركز قيادتها ، كانت تتصور أن الصواريخ الثلاثة ، التى لحقت بالهليوكوبتر ، وأصابتها فى مقتل ، قد أنهت بانفجارها أصعب مشكلة تواجهها ، فى الكون كله ..
تلك المشكلة التى تحمل اسم (أدهم) ..
(أدهم صبرى) ..

ولكن صرختها لم تكن قد انتهت بعد ، ودوى الانفجار لم يكن قد اكتمل ، عندما لمحت جسد (أدهم) ، وهو يطير فى الهواء ، خارج الهليوكوبتر ، قبل أن تنفتح المظلة المعلقة على ظهره فجأة ، لتخفف من سرعة هبوطه نسبيًا ، وهو يتجه نحو ساحة المبنى ، حاملاً مدفعين آليين فى آن واحد ..
لم يكن فتح مظلة الهبوط كافيًا لخفض السرعة إلى الحد المناسب ، من هذا الارتفاع المنخفض ، ولكنها خففت من عنف الهبوط ، خاصة وقد اتخذ (أدهم) الوضع المناسب للسقطة ، فضم ركبتيه إلى صدره ، وأحاطهما بذراعيه ، وهو يمسك المدفعين الآليين بكل قوته ..
وعلى الرغم من اشتعال النيران فى مظلة الهبوط ، من جراء الانفجار ، ومن عنف ارتطام جسد (أدهم) بالأرض ، إلا أنه هب واقفًا على قدميه فى سرعة ، فى نفس اللحظة التى اصطدمت فيها الهليوكوبتر ، مع ذلك الانفجار الرهيب ، بالمبنى ذى الطابقين ..
وفى غضب هادر ، ارتجف له كيانها كله ، هتف السنيورا ، وهى تتابع ذلك المشهد على شاشات الرصد :

ـ اللعنة ! اللعنة !

كانت كل ذرة فى كيانها تنتفض بانفعال جارف ، وبغضب وحنق وسخط لا مثيل له ..

لقد انهار مشروعها النووى ، الذى بذلت من أجله أقصى طاقتها ..

انهار بسبب رجل واحد ..

رجل لم تنجح فى القضاء عليه ، على الرغم من كل ما فعلته ، وكل ما أعدته من أجله ..

رجل لم تبغض فى الدنيا أحدًا مثلما تبغضه ..

وبكل ما يتفجَّر فى أعماقها من مشاعر لا حصر لها ، هتفت :

ـ لم ينته الأمر بعد يا (أدهم صبرى) .. لم ينته كل شىء بعد .

نطقت عبارتها ، وغادرت مركز قيادتها ، واندفعت نحو المفاعل الذرى ، واقتحمته فى عنف ، وهى تهتف برجال حراسته فى صرامة :

ـ أغلقوا كل الأبواب .. أنزلوا الحواجز .. استعدوا لتنفيذ خطة الطوارئ القصوى رقم صفر .

لم تكد تتم عبارتها حتى وقع بصرها على (لورانزو) ،

فى حالة مزرية ، وقد تقطعت ثيابه ، وامتلأ جسده بعشرات السحجات والكدمات ، فهتفت به :

ـ ماذا أصابك ؟!

هتف بها بدوره فى حزم :

ـ بل أخبرينى ما الذى ينبغى علىَّ فعله يا سنيورا .. أنا رهن إشارتك سأنفذ كل ما تأمريننى به ، لإنقاذ المشروع .

أشعلت واحدة من سجائرها ، وهى تقول فى عصبية :

ـ المشروع انتهى يا (لورانزو) .. لم يعد هناك أمل فى إنقاذه .

إنك ورجال الحراسة الأربعة آخر من تبقَّى هنا .. رجالنا الجبناء فرُّوا كالفئران ، عندما بدأت السفينة فى الغرق .. الأوغاد كلهم تخلُّوا عنى .

قال فى حزم ، وهو يمسك مدفعه الآلى فى قوة :

ـ سنقاتل كلنا حتى آخر قطرة دم يا سنيورا .

رمقته بنظرة دهشة ، لم تلبث أن استحالت إلى نظرة غامضة ، وهى تقول :

ـ كلاَّ يا (لورانزو) .. إنك ستفعل شيئًا آخر .

أجابها فى حزم وحماس :

ـ كلى رهن إشارتك يا سنيورا .

التقى حاجباها فى صرامة شديدة ، وهى تقول :
ـ سننفذ الخطة رقم صفر .
بدت عليه الدهشة ، وهو يغمغم :
ـ الخطة رقم صفر ؟!
أجابته فى حزم :
ـ نعم يا (لورانزو) .. الخطة رقم صفر ، هى خطة للطوارئ القصوى .. لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .
برز (استروتيسكى) فى تلك اللحظة ، وهو يقول مضطربًا :
ـ ما الذى ستفعلينه بنا يا سنيورا ؟!
نفثت دخان سيجارتها فى وجهه ، وهى تقول فى صرامة :
ـ اطمئن يا رجل .. ما زلت بحاجة إليكم .
قال (دى مال) فى عصبية :
ـ ما زلت بحاجة إلينا ؟! وكيف هذا ؟! أنت قلت بنفسك ، منذ لحظة واحدة إنه لم يعد هناك أمل فى إنقاذ المشروع .
صاحت به فى صرامة :
ـ ليس هذا من شأنك .

ثم أشارت إلى (لورانزو) ، مستطردة فى صرامة :
ـ قد هؤلاء العلماء الأربعة ، عَبْر ذلك الممر الطويل ، وحتى نهايته ، وهناك ستجد قاطرة صغيرة ، وعليها كل تعليمات التشغيل .. نفذ ما ستقرؤه على مقودها بمنتهى الدقة .. هل تفهم يا (لورانزو) ؟!
أومأ الشاب برأسه فى حزم ، قائلاً :
ـ نعم يا سنيورا .. بمنتهى الدقة .
أشارت إليه فى صرامة شديدة ، وهى تقول :
ـ أهم ما فى الأمر هو ألا تفكِّر يا (لورانزو) .. لا تقحم رأيك الشخصى فى الأمر ، مهما كان الثمن .. فقط نفذ التعليمات بمنتهى الدقة .
أومأ (لورانزو) برأسه فى حماس ، قائلاً :
ـ اطمئنى يا سنيورا .. اطمئنى .
نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، ثم أشارت إلى جنود الحراسة الأربعة ، قائلة :
ـ القاطرة مجهَّزة لحمل ستة أشخاص فحسب .. أنت وهؤلاء العلماء الأربعة ، وأحد هؤلاء الحراس .. انتق أفضلهم ليصحبك .
سألها فى قلق :

ـ وماذا عنك يا سنيورا ؟!

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

ـ لا شأن لك بأمرى .. سألحق بكم ، عندما أنتهى من آخر مهمة لى هنا ..

قال فى توتر :

ـ سنيورا .. إننى مستعد للبقاء هنا ، وإتمام كل ما تأمريننى به ، و ..

قاطعته فى صرامة غاضبة :

ـ قلت لك لا تفكّر يا (لورانزو) .. نفذ الأوامر فحسب .

احتقن وجهه ، وانعقد حاجباه ، وهو يغمغم :

ـ كما تأمرين يا سنيورا .. كما تأمرين .

هتف بها البروفيسير (بولانسكى) فى ذعر :

ـ ما الذى ستفعلينه بنا يا سنيورا ؟! إلى أين سيصطحبنا هذا الرجل ؟!

صرخت فيه ثائرة :

ـ قلت لا شأن لكم بهذا .. أطيعوا الأوامر ، وإلا نسفنا رءوسكم بلا رحمة .. هيا .

استسلم العلماء الأربعة لأوامرها ، وتركوا (لورانزو)

يقودهم إلى مصير مجهول ، فى حين اتجهت هى إلى حجرة الأمن ، وهى تقول لجنود الحراسة الثلاثة ، الذين تبقّوا إلى جوارها ، فى صرامة شديدة :

ـ اتخذوا مواقعكم عند مدخل المكان .. لا تسمحوا لأى مخلوق بالدخول ، حتى أنتهى من عملى هنا .

اتخذ الرجال الثلاثة موقعهم ، فى حين راحت هى تتعامل فى سرعة مع جهاز الكمبيوتر فى حجرة الأمن ، وهى تقول لنفسها فى عصبية :

ـ سترى ما سأفعله يا (أدهم صبرى) .. سترى كيف أنه من العسير أن تحقّق انتصارًا كاملاً مع السنيورا .

شاهدت ثلاث نقاط تتألّق على شاشة الكمبيوتر ، فتألّقت معهم عيناها ، وهى تكمل :

ـ عظيم .. لقد بدأ برنامج الإبادة الشاملة .

ثم نهضت ، والتفتت إلى رجال الحراسة الثلاثة ، مستطردة :

ـ بقيت نقطة أخيرة .

اعتدل أحد الرجال الثلاثة ، عندما رآها تتطلّع إليه ، وسألها فى احترام :

- أتأمريننا بشىء آخر يا سنيورا ؟!

هزت رأسها نفيًا ، وقالت بابتسامة غامضة :

- كلا يا رجل .. لقد أديتم كل ما أمرتكم به بمنتهى الدقة فى الواقع ، ولكن المشكلة أنكم وحدكم شاهدتم وجهى ، ويمكنكم وصفه للآخرين .

بدت الحيرة على وجه الرجل ، وهو يغمغم :

- ماذا تقصدين بالضبط يا سنيورا ؟!

ارتفعت فوهة مسدسها فى وجوههم فجأة ، وهى تقول :

- أعنى أن وجودكم على قيد الحياة ، صار يتعارض مع خططى المستقبلية .

اتسعت عيون الرجال الثلاثة فى ذهول ، فانطلقت رصاصتها الأولى تنسف رأس أوّلهم ، قبل أن يفيق من ذهوله ، ثم دارت فوهة مسدسها فى سرعة ، لتطلق رصاصتها الثانية ، التى غاصت فى قلب الثانى ، فرفع الثالث مدفعه الآلى ، هاتفًا فى غضب :

- اللعنة ! أبعد كل ما بذلناه من أجـ ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت رصاصتها الثالثة لتخترق منتصف جبهته تمامًا ، فاتسعت عيناه فى ألم وذهول ، وهوى جثة هامدة ..

وفى سرعة ، ودون أن تلقى نظرة واحدة على من غدرت بهم ، اندفعت السنيورا نحو حجرة مغلقة برتاج إليكترونى ، فى نهاية المكان ، فى نفس اللحظة ، التى ارتفع فيها صوت آلى ، يقول :

- بدء خطة الإبادة الشاملة .. إنذار إلى الجميع .. يتم إخلاء المبانى طبقًا لتسلسل عمليات التفجير .. المبنى الرئيسى ينفجر بعد ثلاثين ثانية .. مركز القيادة بعد دقيقة واحدة .. المفاعل يتم تفجيره خلال ثلاث دقائق ..

عضت شفتها السفلى فى حنق ، وهى تضغط أزرار الرتاج الإليكترونى برقمه السرى فى سرعة ، مغمغمة :

- ستدفع ثمن كل حجر يتهدم يا (أدهم) .. ستدفع ثمن كل حجر .

انفتح الباب فى هدوء ، فألقت نظرة على ذلك الزى داخله ، وهى تقول فى انفعال :

- كنت واثقة من أنك ستحسم الأمر فى النهاية .

نطقتها ، وهى تتطلع إلى ذلك الزى ، الذى بذلت الكثير من الجهد والمال ، للحصول عليه ..

زى المشروع ..

مشروع (السوبرمان) ..

* * *

فجأة ، انطلق ذلك التحذير الآلى ، داخل مركز القيادة ، فالتفتت (منى) و (جيهان) إلى بعضهما بحركة حادة ، وهتفت الأخيرة :

- دقيقة واحدة .

قالتها ، فانطلقتا تعدوان بأقصى سرعتهما خارج المبنى ، وما إن غادرتاه ، حتى لمحتا (أدهم) و(بترو) ، فى منتصف الساحة ، التى انقشعت عنها سحب الدخان ، وخلت تمامًا من رجال السنيورا ، باستثناء الصرعى وفاقدى الوعى منهم ، وصاح بهما (أدهم) :

- أسرعا .. لقد سمعنا التحذير .

هتفت به (منى) ، وهى تعدو نحوه :

- (أدهم) .. لن تصدّق ما عثرنا عليه فى مركز القيادة .

وثب يجذبها إليه ، وهو يهتف :

- فيما بعد يا (منى) .. فيما بعد .

قفزت (جيهان) إلى الأمام ، وألقت نفسها أرضًا ، وهى تحمى رأسها بذراعيها ، هاتفة :

- سينفجر المبنى الرئيسى الآن ..

ومع آخر حروف كلماتها ، دوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، نسف ما تبقّى من المبنى ذى الطابقين ، وغمر المكان مرة أخرى بعاصفة من الغبار والرمال والدخان ، فهتفت (جيهان) :

- تلك اللعينة ستنسف كل شىء .

صاح (أدهم) ، وهو ينهض فى حزم :

- لو نجحت فى نسف المفاعل الذرى ، ستتعرّض المنطقة كلها لكارثة رهيبة .

سأله (بترو) بالبرتغالية :

- لماذا نبقى هنا يا (أومو بيليجروسو) ؟! المكان خال تمامًا .

أدار (أدهم) عينيه فيما حوله ، وهو يقول فى صرامة :

- هل تعتقد هذا حقًا ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انفتحت بوابة المفاعل الذرى فجأة ، فهتفت (جيهان) :

- (أدهم) .. انظر هناك .

استدار (أدهم) و (بترو) و(منى) ، فى آن واحد ، إلى بوابة المفاعل الذرى ..

ومع استدارتهم هذه ، دوى انفجار آخر ، سحق مركز القيادة سحقًا ، ودفع أربعتهم أمامه فى قوة ، ليسقطوا فوق رمال الساحة بعنف شديد ..

وفى نفس لحظة سقوطهم ، برزت السنيورا من بوّابة المفاعل ..

برزت فى الزى نفسه ..

زى (السوبرمان) ..

واتسعت عينا (جيهان) فى شدة ، وهى تهتف :

ـ رباه ! ليس مرة ثانية !!

أما (منى) ، فقد انعقد حاجباها ، وهى تغمغم ذاهلة :

ـ ما هذا الشىء بالضبط ؟!

صاح بهم (أدهم) فى صرامة :

ـ ابتعدوا .. تفرّقوا فى الساحة .

وبحركة آلية ، ودون تفكير ، انطلقت (منى) و(جيهان) تعدوان مبتعدتين ، فى اتجاهين مختلفين ، فى حين تردّد (بترو) فى عصبية ، فصرخ فيه (أدهم) بالبرتغالية :

ـ ابتعد يا رجل .. انج بحياتك .

التقى حاجبا (بترو) فى شدة ، وتسمّرت قدماه فى مكانهما ، وهو يحدّق فى الجسم الطائر ، الذى انطلق نحو (أدهم) مباشرة ، متجاهلاً (منى) و(جيهان) ..

وبكل انفعالها ، هتفت السنيورا ، وهى تضغط زر إطلاق النيران فى الزى :

ـ اذهب إلى الجحيم يا (أدهم) .. اذهب إلى الجحيم .

انطلقت الرصاصات خلف (أدهم) ، وهو يعدو بأقصى سرعته ، فى خطّ متعرّج ، متفاديًا تلك الرصاصات ، بأبرع وسيلة ممكنة ، ولكن السنيورا طارت بالزى متجاوزة إياه ، ثم استدارت تواجهه ، قائلة فى غضب :

ـ لن يمكنك الفرار هذه المرة يا (أدهم) .. لن يمكنك الفرار قط .

قالتها ، وضغطت زر إطلاق الصواريخ ، فانطلق من زى (السوبرمان) صاروخ رفيع ، شق طريقه نحو (أدهم) ، الذى وثب بكل قوته ، و ..

وانفجر الصاروخ خلفه فى عنف ..

ومع موجة الانفجار القوية ، طار جسده ثلاثة

أمتار كاملة إلى الأمام ، ثم ارتطم بالأرض ، وتدحرج فوقها فى عنف ، وقد انغرست إحدى شظايا الانفجار فى كتفه اليسرى ، وتفجَّرت الدماء من موقعها فى قوة ..

وتألَّقت عينا السنيورا ، وهى تدور بالزى ، لتواجه (أدهم) ، هاتفة فى ظفر :

ـ خسرت يا (أدهم) .. خسرت .

قالتها ، وهى تضغط زر إطلاق الصاروخ الثانى ، مصوِّبة إياه نحو (أدهم) ..

مباشرة .

* * *



٩ ـ الختام ..

تلاقى حاجبا وزير الدفاع البوليفى فى شدة ، وهو يستمع إلى مساعده ، الذى راح يتلو عليه تقريرًا عاجلاً ، من قيادة القوات الجوية ، قائلاً :

ـ ولم تتمكن المقاتلات من العثور على الهليوكوبتر الحربية المفقودة ، إلا أن تلك التى اتجهت نحو الجنوب الشرقى ، والتى بلغت منطقة الجبال ، حول (فيلامونتز) رصدت قتالاً عنيفًا ، يدور فى منطقة ما ، وسط سلاسل الجبال هناك ، وقيادة القوات الجوية تسأل عما إذا كان عليها التدخُّل فى الأمر أم لا .

سأله الوزير فى توتر :

ـ وما نوع ذلك القتال ؟!

خفض مساعده التقرير ، قائلاً :

ـ يقولون إنه أشبه بحرب صغيرة يا سيِّدى الجنرال .

تضاعف توتر الوزير ، وهو يقول :

ـ هذا لم يرد فى التقرير .

تنهّد المساعد ، قبل أن يقول :

ـ لقد أبلغنى به قائد القوات الجوية شفاهة يا سيّدى الجنرال ، والواقع أن صوته كان يشفّ فى وضوح عن أهمية الأمر وخطورته .

صمت وزير الدفاع لحظة ، غمغم خلالها ، وكأنه يحدّث نفسه :

ـ أخشى ما أخشاه أن ..

لم يتم غمغمته هذه ، وإنما انهمك فى التفكير لحظة أخرى ، ثم رفع رأسه إلى مساعده فى حركة حادة ، تشفّ عن أنه قد حسم أمره ، وقال فى حزم :

ـ فيم انتظارهم إذن ؟!

ثم رفع هاتفه الأحمر الخاص ، واتصل مباشرة بقائد القوات الجوية ، قائلاً :

ـ انطلقوا يا رجل .. على بركة الله .

وأنهى المحادثة فى سرعة ..

وحزم ..

* * *

فجأة ، انطلقت فى المكان صرخة قوية ..

صرخة تحمل صوت (بترو) ، الذى انطلق يعدو

نحو السنيورا ، التى تحلّق على ارتفاع ثلاثة أمتار من الأرض ، وتصوّب صاروخها نحو (أدهم) ، و ..

وقفز (بترو) ..

قفز قفزة مذهلة ، بجسده الهائل الضخم ، وكأنما يدافع عن كيانه هو ، وليس عن (أدهم) ..

قفزة جعلته يتعلّق بجسد السنيورا ، داخل زيها الخارق ، وهو يصرخ :

ـ لا .. لن تمسى (أومو بيلجيروسو) بسوء .

اختلّ توازن السنيورا ، مع ذلك الثقل الهائل المباغت ، وانخفض جسدها دفعة واحدة ، فانطلق صاروخها الثانى ، ليعبر فوق جسد (أدهم) ، ويواصل انطلاقه ، حتى يرتطم بالصخور ، وينفجر عندها فى عنف ..

وفى اللحظة نفسها ، هبّ (أدهم) من سقطته ، وانطلق يعدو نحوها بدوره ، وهى تصرخ فى غضب :

ـ ابتعد أيها الزنجى الوغد .. ابتعد .

كان (بترو) يتشبّث بها بكل قوته ، فاستلّت خنجرًا من زيها ، وهوت به على عنقه ، صارخة :

ـ اذهب إلى الجحيم .



فى نفس اللحظة ، التى وثب فيها (أدهم) .. كانت هى تحاول الارتفاع بزيها ، عندما تعلق بها بغتة ..

انغرس الخنجر حتى مقبضه فى عنق (بترو) ، فجحظت عيناه عن آخرهما ، وتخاذلت ذراعاه ، المتشبثتين بجسدها ، فهوى ليرتطم بالأرض فى عنف ..

فى نفس اللحظة ، التى وثب فيها (أدهم) ..

كانت هى تحاول الارتفاع بزيها ، عندما تعلّق بها بغتة ، وهو يقول ساخرًا :

- انتهت الرحلة يا سنيورا .

رفعت خنجرها الملوّث بالدم نحوه ، فضرب معصمها ضربة سريعة ، وهو يرتفع معها عن الأرض ، هاتفًا :

- ليس بهذه البساطة يا سنيورتى .

زمجرت ، هاتفة فى حنق :

- فلتنعم بالوسائل العنيفة إذن .

قالتها ، وضغطت زرًا آخر فى زيها ، فسرى فى جسده تيار كهربى مباغت ، جعله ينتفض فى عنف ، ويفلت ذراعيه ، فهوى بدوره ليرتطم بالأرض ، وهو يشعر بآلام مبرحة ، فى كل عضلة فى جسده ..

وبكل غضبها وثورتها وانفعالها ، استدارت إليه

السنيورا ، صارخة بصوتها المكتوم ، من خلف الخوذة الداكنة ، التى تخفى وجهها كله :

ـ أخيرًا وقعت يا (أدهم صبرى) ، وقعت فى قبضتى .

لم يكن (أدهم) يشعر بتلك الآلام فحسب ، وإنما كانت عضلاته منقبضة على نحو عنيف ، بحيث لم يكن باستطاعته أن يتفادى رصاصاتها بالسرعة المناسبة ، و ..

« لن تظفرى به قط .. »

انطلقت تلك الصرخة بغتة ، مع قنبلة يدوية ، طارت فى الهواء ، لترتطم بزى (السوبرمان) ، وتنفجر فوقه فى عنف ..

ومع الانفجار ، تراجع جسد السنيورا فى عنف ، لستة أمتار كاملة ، فى حين أطلقت (منى) رصاصاتها نحوها ، مستطردة فى حزم :

ـ لن تنجحى اليوم فيما فشلت فيه طويلاً .

لم يتأثر جسد السنيورا أو زيها بانفجار القنبلة ، باستثناء ذلك الابتعاد الطبيعى ، مع رد فعل الانفجار ؛ لذا فقد اندفعت نحو (منى) فى غضب ، صائحة :

ـ فليكن أيتها المتحذلقة .. دعينى أظفر بك أولاً .

هبَّ (أدهم) من سقطته ، على الرغم من كل ما يشعر به من آلام ، وصرخ فى ذعر :

ـ لا .. ابتعدى يا (منى) .. ابتعدى .

ولكن السنيورا انقضَّت فى زى (السوبرمان) وضغطت زر إطلاق النار ، و ..

وانطلقت رصاصاتها تخترق ذلك الجسد البشرى الأنثوى ..

وبمنتهى العنف ..

★ ★ ★

أحداث عديدة ، التقطها عقل (جيهان) ، فى لحظة واحدة ..

(بترو) ملقى أرضًا ، والدماء تنزف من عنقه فى غزارة ..

(أدهم) ينثنى على نفسه ، مع الآلام المبرحة فى كل عضلة فى جسده ..

السنيورا تهاجم (منى) فى زى (السوبرمان) ..

ثم امتزجت الأحداث دفعة واحدة ..

(منى) تراجعت فى يأس ، وهى تواصل إطلاق

رصاصاتها ، التى ترتدّ عن زى (السوبرمان) فى عنف ..

و(أدهم) يقفز من مكانه ، متجاوزًا ومتحديًا كل آلامه ؛ ليصرخ باسمها ، على نحو لم تسمعه ينطق به من قبل قط ..

وتفاعلت كل تلك العوامل فى أعماقها ، فى جزء من خمسة أجزاء من الثانية ..

ثم تحوّل كل هذا التفاعل إلى وثبة ..

وثبةً مذهلة ، قطعت خلالها أربعة أمتار كاملة ، لتعترض طريق الرصاصات ، التى انطلقت نحو (منى) ، وهى تصرخ :

- لا ..

واخترقت كل رصاصات السنيورا جسدها ..

كلها ..

وصرخت (منى) فى ارتياع :

- (جيهان) ..

وأمام عينيها ، سقطت (جيهان) أرضًا ، وجسدها مثخن بالجراح ، فى حين هبّ (أدهم) واقفًا ، وهو يهتف :

- يا إلهى !

استدارت إليه السنيورا ، صائحة :

- اقتصر الأمر علينا يا (أدهم) ، وسوف ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، أحاطت بها فجأة موجة من الرصاصات ، وارتفع صوت صارم ، يقول بالأسبانية :

- هنا القوات الجوية البوليفية .. استسلموا فورًا ، وإلا أطلقنا صواريخنا على الفور .

أدارت وجهها إلى السماء ، ووقع بصرها على ثلاث مقاتلات ، وطائرتى هليوكوبتر حربيتين ، وكلها تحلّق فوق وكرها ، فعضّت شفتيها ، قائلة فى غيظ ساخط :

- يبدو أن القدر يصرّ على أن نكمل لعبتنا فى جولة قادمة يا (أدهم) .

قالتها ، وضغطت زر الانطلاق بالسرعة القصوى ، فانطلق جسدها إلى أعلى ، ومال فى خط موازٍ للأرض ، واندفع إلى الأمام كالصاروخ ، على نحو جعل قائد إحدى المقاتلات الثلاث يهتف ذاهلاً :

- رباه ! ما هذا بالضبط ؟!

بدا له ذلك الجسد الطائر ، وهو ينخفض فجأة ،

ليختفى وسط سلاسل الجبال ، فضغط زر الاتصال اللاسلكى ، وقال فى صوت لم يفارقه الذهول بعد :

ـ من السرب الثالث إلى القاعدة .. تم رصد جسم طائر مجهول الهوية .. هل .. احم .. هل نتعقبه ؟!

فى نفس الوقت ، الذى ألقى فيه سؤاله ، كانت (منى) تحتضن (جيهان) هاتفة :

ـ (جيهان) .. يا إلهى ! (جيهان) .. لقد ضحَّت بنفسها من أجلى .. من أجلى يا (أدهم) !

فتحت (جيهان) عينيها فى صعوبة ، وتساقطت قطرات الدم من بين شفتيها الجميلتين ، وهى تقول بابتسامة متهالكة :

ـ خطأ يا عزيزتى (منى) .. خطأ .

ثم أشارت بسبّابة مرتجفة نحو (أدهم) ، مضيفة :

ـ لقد فعلت هذا من أجله ، وليس من أجلك .

وتهالكت سبّابتها مع يدها كلها إلى جوارها ، وهى تسبل جفنيها فى بطء ، فهتفت (منى) :

ـ لا يا (جيهان) .. لا .. لا تذهبى بهذه السرعة .

عضّ (أدهم) شفته غضبًا ، وهو يغمغم :

ـ تلك السنيورا اللعينة !

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع ذلك الصوت الآلى ، عبر مكبرات الصوت ، قائلا :

ـ دقيقة واحدة ويتم نسف المفاعل .

هتف (أدهم) :

ـ يا إلهى ! المفاعل .

قالها ، وانطلق يعدو نحو المفاعل ، متجاهلاً تحذير قائد السرب ، الذى صاح :

ـ توقّف وإلا ..

كان يدرك جيّدًا أن الرجل لن يجرؤ على إطلاق رصاصة واحدة ، نحو مفاعل ذرى ، لذا فقد واصل طريقه ، واقتحم المكان ، وتلفت حوله ، قائلا فى عصبية :

ـ ترى أين يتمّ التحكّم فى عمليات التفجير هذه ؟! أين ؟! أين ؟!

توقّف بصره عند كمبيوتر الأمن ، والصوت الآلى يقول :

ـ أربعون ثانية ، ويتم نسف المفاعل .

انطلق (أدهم) نحو الكمبيوتر ، وراح يضرب أزراره فى سرعة ، للدخول إلى برنامج الأمن ، والصوت الآلى يتابع :

ـ ثلاثون ثانية ، ويتم نسف المفاعل .

واصل (أدهم) العمل على أزرار الكمبيوتر في سرعة مدهشة ، متجاهلاً العد التنازلي المستفز ، الذي بدأه الصوت الآلي :

ـ عشرون ثانية .. تسع عشرة ثانية .. ثماني عشرة ثانية ..

وضغط (أدهم) أزرار الكمبيوتر أسرع ..

وأسرع ..

وأسرع ..

عشر ثوان ..

تسع .. ثمان ..

سبع ..

وبضغطة زر أخيرة ، أوقف برنامج الإبادة الشاملة ، قبل أن يتمّ خطوته الثالثة والأخيرة ..

وبكل ما يعتمل في أعماقه ، أطلق زفرة ملتهبة ، هاتفًا :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله ..

ترك جسده يسترخي على مقعده لحظة ، ثم اعتدل فجأة ، مغمغمًا :

ـ ترى هل ..

ودون أن يتمّ تساؤله ، عادت أصابعه تضرب أزرار الكمبيوتر في سرعة ..

وراح يخترق دائرة الأمن كلها ..

ثم انعقد حاجباه في شدة ..

لقد راحت تنساب أمامه ، على شاشة الكمبيوتر ، معلومات مهمة خطيرة .. إلى أقصى حد ..

* * *

« أين هو ؟! »

هتف الدكتور (محمد العفيفي) بالسؤال في حماس ، وهو يحمل حقيبته الصغيرة ، استعدادًا لمغادرة مبنى المخابرات العامة ، والعودة إلى مسكنه في الإسكندرية ، فسأله رجل المخابرات المصاحب له في اهتمام :

ـ من هو يا دكتور (محمد) ؟!

أجابه الدكتور (محمد) في لهفة :

ـ ذلك البطل .. (ن ـ ١) .. العميد (أدهم صبري) .. لقد أخبروني أنه قد عاد مع الباقين من (بوليفيا) .. أريد أن ألتقي به .. أن أصافحه فحسب .. إنني مبهور بكل ما فعله هناك .

هزّ رجل المخابرات رأسه نفيًا ، وهو يقول :
ـ لست أظن هذا ممكنًا يا دكتور (محمد) .
هتف خبير الهندسة النووية مستنكرًا :
ـ ولِمَ لا ؟! إنه ليس عميلاً سريًا .. أليس كذلك ؟!
لقد أخبرتمونى أنه رجل المخابرات الوحيد ، الذى يعمل بصفة علنية .
تنهّد رجل المخابرات وقال :
ـ هذا صحيح يا دكتور (محمد) ، ولكنه عاد على الفور من مهمة شديدة الصعوبة ، ما زالت خسائرها تؤلمه ، ولن يمكنه الالتقاء بك اليوم .. ربما فيما بعد .
مطّ الدكتور (محمد) شفتيه فى أسف ، وأومأ برأسه متفهمًا ، وهو يقول :
ـ نعم .. ربما .
فى نفس اللحظة ، التى غادر فيها مبنى المخابرات العامة ، كان مدير الجهاز يقول لـ (أدهم) فى مكتبه :
ـ ربما كانت السنيورا قد نجحت فى الفرار يا (ن ـ ١) ، ولكن هذا لا يعنى أن مهمتك قد فشلت .. لقد نجحت فى إيقاف مشروعها النووى ، وأنقذت العالم كله من مصير رهيب .

تنهّد (أدهم) ، قائلاً :
ـ الأفعى لا تموت ، إلا إذا حطمنا رأسها يا سيّدى ، وتلك الأفعى لم تمت بعد .. لقد نجحت فى الفرار ، ولم يتم العثور عليها ، أو على زى (السوبرمان) أبدًا ، ولقد عثروا داخل المفاعل على نفق طويل ، استخدمته لنقل العلماء الأربعة إلى منطقة بعيدة ، حيث حملتهم هليوكوبتر صغيرة إلى مكان مجهول ، وهذا يعنى أنها تنوى تكرار التجربة ، والسعى لإنتاج مخزون ذرى جديد ، فى مكان آخر .
وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، وقال :
ـ ستكون بحاجة إلى وقت طويل لتفعل هذا ، وربما نجحنا فى العثور عليها ، قبل أن تبدأ مشروعًا نوويًا جديدًا .
ثم ربّت على كتفه ، مستطردًا بابتسامة هادئة .
ـ لقد بذلت قصارى جهدك يا رجل ، وجاءت النتائج مرضية إلى حد كبير .
غمغم (أدهم) فى مرارة :
ـ ولكن الثمن فادح .
هزّ المدير رأسه ، قائلاً :

ـ ليس إلى الحد الذى ينقل المهمة من خانة النجاح إلى خانة الفشل .. لقد تمكن الأطباء من إنقاذ حياة (جيهان) و (بترو) على الأقل .

مط (أدهم) شفتيه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح ، ولكن (جيهان) لم يعد باستطاعتها العودة إلى العمليات الخارجية الخاصة مرة أخرى ، وأفضل ما يمكن أن تتمناه هو أن تحصل على وظيفة إدارية هنا ، أما (بترو) ، فسيقضى وقتًا طويلاً ، قبل أن يمكنه تحريك عنقه ثانية .

قال المدير فى خفوت :

ـ (قدرى) و (منى) خرجا سالمين على الأقل .

أومأ برأسه متفهمًا ، وقال :

ـ نعم .. لقد ساعدتنا الأوراق ، التى زوّرها (قدرى) ، على الخروج من مأزق الحكومة البوليفية ، التى لم تشأ أن تثير غضب الحكومة الأمريكية ، متصوِّرة أننا عملاء فى المخابرات المركزية الأمريكية فى مهمة خاصة لإنقاذ العالم .. والعجيب أن السفير الأمريكى نفسه انخدع بأوراقنا ، وبذل قصارى جهده لإخراجنا من هناك ..

ابتسم المدير ، قائلاً :

ـ أراهن على أنه يتصوَّر الآن أن مخابرات دولته تحاول خداعه ، بادعاء أنكم لستم من رجالها .

غمغم (أدهم) فى خفوت :

ـ كان ينبغى له أن يتأكَّد من صحة أوراقنا ، قبل أن يفعل ما فعل .

وتنهَّد مرة أخرى ، قبل أن يضيف :

ـ ولكن يبدو أن (قدرى) مزوِّر بارع ، إلى حد يكفى لخداع المسئولين أنفسهم .

قال المدير موافقًا :

ـ الواقع أن الأوراق التى صنعها ، والتى تحمل شعار المخابرات الأمريكية ، كانت مقنعة للغاية .

تمتم (أدهم) فى شرود :

ـ بالتأكيد .

صمت المدير بضع لحظات ، وهو يتطلَّع إليه ، قبل أن يسأله فى اهتمام :

ـ ما الذى تفكِّر فيه بالضبط يا (ن ـ ١) ؟!

صمت (أدهم) بدوره بضع لحظات أخرى ، ثم التفت إلى مديره ، مجيبًا فى حزم :

ـ فى التمويل المادى الرهيب ، الذى يساعد تلك السنيورا ، على فعل ما تفعله .. الكمبيوتر الخاص بها أرشدنا إلى أربعة من عمالقة الاقتصاد ، فى ثلاث قارات مختلفة ، يمولون تلك المشروعات القذرة ، ولكننا لا نمتلك دليلاً واحدًا لإدانتهم ..

قال المدير فى لهجة واثقة :

ـ سنعثر عليه حتمًا ذات يوم .

لوّح (أدهم) بكفه ، قائلاً :

ـ وحتى يأتى ذلك اليوم ، كم من الأبرياء سيتعرضون للخطر ، وسيلقون مصرعهم بسبب تلك اللعينة ؟!

قال المدير فى حذر :

ـ كلنا نعلم أن (سونيا جراهام) ليست ..

قاطعه (أدهم) بإشارة حازمة من يده ، قائلاً :

ـ لا شىء يؤكد بعد ، أن السنيورا هى (سونيا) .

سأله المدير فى دهشة :

ـ وماذا عن الصورة الكبيرة ، فى حجرة السنيورا الخاصة ، والتى ذكرتها (منى) فى تقريرها ؟!

هزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لست أدرى ! ربما كانت محاولة للخداع ، أو دليل على إعجاب السنيورا بـ (سونيا جراهام) ، ولكن كل شىء آخر يوحى بأنها ليست (سونيا) .

سأله المدير فى اهتمام :

ـ كل شىء مثل ماذا ؟! صوتها ؟! هيئتها ؟!

صمت (أدهم) بضع لحظات ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لست أدرى ، ولكننى لا أشعر أنها هى .

ثم هزّ رأسه فى قوة ، وكأنما ينفض عنها الفكرة كلها ، قبل أن يقول :

ـ ولكن هذه ليست قضيتنا الآن .. إننى أتحدّث عن عمالقة الاقتصاد الأربعة ، الذين يختفون خلف كل هذه الأحداث العنيفة .

سأله المدير مرة أخرى :

ـ فيم تفكّر بالضبط يا (أدهم) ؟!

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ لو ظل هؤلاء الأربعة على موقفهم ، ستحصل السنيورا باستمرار على كل ما تحتاج إليه من تمويل ، وهذا يعنى مزيدًا من الخطر ، والضحايا ، ونزيف دماء الأبرياء .

سأله المدير مرة ثالثة ، فى لهجة شديدة الحزم والصرامة :

- فيم تفكر يا (أدهم) ؟!

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يجيب :

- فى تدمير مصادر تمويل الشر .

ارتفع حاجبا المدير فى دهشة ، وهو يهتف :

- تدميرهم ؟! هل تدرك ما الذى يمكن أن يصيب اقتصاد العالم ، لو دمرت هؤلاء العمالقة الأربعة الكبار ؟! ستحدث حتمًا هزة اقتصادية عنيفة ، لا أحد يدرى ما الذى يمكن أن تؤدى إليه !

قال (أدهم) فى صرامة :

- ستوقف خطر تلك السنيورا اللعينة على الأقل .

صمت المدير ، وهو يفكر فى الأمر بتوتر شديد ، ثم لم يلبث أن قال :

- هذا الأمر يحتاج إلى الدراسة يا (ن - ١) .

أجابه (أدهم) فى حزم :

- بل يحتاج إلى السرعة والحسم يا سيدى .

غمغم المدير ، وهو يهز رأسه :

- ربما يا (ن - ١) .. ربما .. ولكن لا شىء يتم

هنا دون دراسة جيدة ، ودون اجتماعات ومشاورات .

قال (أدهم) فى هدوء عجيب :

- المهم أن تنتظر السنيورا ، حتى ننتهى من اجتماعاتنا ومشاوراتنا يا سيدى .

رمقه المدير بنظرة عصبية ، قبل أن يسأله للمرة الرابعة فى صرامة شديدة :

- فيم تفكر بالضبط يا (أدهم) ؟!

تصاعدت مرارة شديدة إلى حلق (أدهم) ، وهو يستعيد كل تفاصيل تلك المهمة القاسية العنيفة ، ومشاهد دقائقها الأخيرة ..

سقوط (بترو) ..

وإصابة (جيهان) ..

ثم سرى فى رأسه سؤال واحد ..

ماذا لو نجحت فى مهمتها ، وأنتجت بالفعل قنابلها الذرية ؟!

ماذا لو ؟!

وبنفس الهدوء العجيب ، ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يجيب :

- لا شىء يا سيدى .. لا شىء .

وعندما غادر مكتب مدير المخابرات ، كانت ابتسامته الغامضة هذه تتسع ، وعيناه تتألقان معها فى حزم وتصميم وإصرار ، ليس لهم من مثيل ..

وتتألقان ..

وتتألقان ..

بلا حدود .

[تمت بحمد الله]

★ ★ ★

عمالقة الجبال

- كيف يواجه (ادهم صبرى) ورفاقه المقاتلات البرازيلية . فى سماء (ريودى جانيرو) ؟!
- ماهذا الفريق الامريكى ، الذى اقتحم الأحداث . فى قلب (بوليفيا) ؟!
- ترى من ينتصر فى الجولة الاخيرة .. السفيورا ورجالها أم (عمالقة الجبال) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) .



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

117



العدد القادم : الاربعة الكبار ..

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم